الرجل والمرأة: اقتراب وابتعاد

جمال رسول

للأيام التي عشناها أو نعيشها معاً
للسنوات الطويلة
للحياة القادمة
جمال رسول

الرجل و المرأة: اقتراب و ابتعاد

ثنائي متعدد
لثنائية القبول و الرفض المتعددة

جمال رسول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك،

أو أن نفتتن عن دينك،

أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك

الإمام علي عليه الصلاة و السلام

مقدمة

رؤية فائقة

يَأَيها النَّاس إِنَّا خَلَقْنَكم
مِّن ذَكَر وَ أُنثى وَ
جَعَلْنَكمْ شعُوباً وَ قَبَائلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكمْ عِندَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ سورة الحجرات ، الآية : 13

بين الرجل و المرأة مسافات و مقاربات، و الاعتماد على المتغيرات في هذا البين كثيرا ما يؤدي إلى تكسير الثوابت، و الانكفاء فيه نحو النسبيات يؤدي إلى تقييد الإطلاقيات. و لكن المسألة ليست من الرؤى الذاتية أو أنها تخضع لمعالجات الإنسان المخلوق في أطر الذاتيات و النزعات النفسية و التكوينات الغرائزية، إن التجربة و الوجدان يثبتان الحاجة إلى رؤية واضحة صريحة صحيحة صادقة حاكمة تفوق كل الأبعاد البشرية غير المعصومة فلا تفقدنا جاذبياتنا المحتومة خلقيا.

لم يكن في طويتي الداخلية أن ألج هذا البحث الذي يحتاج إلى مجال تخصصي ليكون تكامله أتم ونتائجه أكثر دقة. غير أن بواعث و أسبابا هي ذات طابع فكري انطوت على معرفة بسيطة كالتي نألفها في قطرة الندى حينما تقطر من فوق ورقة شجرة متأنقة فتمنح رونقا يعشقه العقل و القلب. لقد حدث أن اجتمعت مع بعض الأخوة و الأصحاب و آخرين في بعض الأحيان في بعض من الحوارات الفكرية و

الايدولوجية و قمت بتحريرها تباعا عسى أن يتاح لي يوما ما وضعها بين يدي الأعزة، و لكن نظرا لما يستدعيه هذا العمل من جهد و وقت كنت منصرفا عنه إلى حين فكرت أن أقوم بعملية فرز لطبيعة المحاورات وأضيف عليها قراءة تحليلية أو تركيبية أو نظرة مختلفة وتكون كل منها مستقلة عن الأخرى لعلها تكون ذات فائدة. و هنا أضع هذه المقاربة في فهم ذواتنا انطلاقا من خلقة الناس من ذكر و أنثى في أس اجتماعي، مرورا بالطور النفسي العاطفي في الرجل و المرأة و انتهاء بوظيفة منطقية يفرضها الشرع و العقل نتذوقها في الحجاب كأس ركني فيما بين الرجل و المرأة. و هذه المقاربة منطوية على تأمل و تدبر شخصي، استثاره للظهور رغبة نفسية و رغبة ممن لهم في القلب نبضة إثر نبضة.

جمال رسول

القطيف

07 صفر 1433

سؤال و جواب

هو و هي

السؤال – ما هو نوع العلاقة بين الجنسين، و كيف تكون؟

كنت مرة جالسا مع أحد الأصحاب فقال لي: إن لدي سؤالا لا أعرف كيف أجيب عليه، و أرى أنك ستجيب عليه بكفاءة و بقدرة على الإقناع للطرف الآخر، هذا السؤال أنقله لك من محاورة لي في المسنجر، وإن رغبتي في الحصول على إجابة مقنعة لي و للآخرين هي التي تدفعني به نحوك ابتغاء أن أحصل على إجابة شافية لإشكالية يتطرق لها كثيرا بين آونة و أخرى.

كان السؤال أشبه بشكوى و اعتراض على سلوك و مبدأ للبعض واجهته إحدى المبتعثات و التي ربما كانت إحدى قريبات صاحبي هذا و كان السؤال يدور حول الاختلاط الدراسي في الخارج(و أنا هنا سأتصرف في لغة السؤال و أنقله بمعناه) ، و هو كما يلي:-

حيث أنها أشارت إلى مفارقة في بعض السلوكيات و أن بعض الشباب المبتعثين يتجانب الحديث أو التحادث مع الفتيات (الزميلات) و أنه يدعي أن هذا الحديث عيب و حرام و بالتالي لا يجوز شرعا و لا يصح خلقا ممارسته و بكل أريحية، ثم تقول و لكنه في الوقت ذاته يكون أول من يطلب من أي فتاة حاجاته (من المحاضرات و البحوث)، و هناك البعض الآخر من هؤلاء الشباب لا يبدي أي تكلف في علاقاته و أحاديثه مع أي من الفتيات بدون أن يدور في خلده ما يثير تحفظا كما هو شأن الأول، و يتعامل هذا الأخير مع جميع الفتيات كأنه و إياهن أبناء أب واحد و أم واحدة. و السؤال: أن هذا السلوك من كل من هذين النوعين من الشباب (المتحفظ في العلاقة و هو الأول و المتسامح فيها و هو الثاني)، وضع الفتيات موضع المشكك في النوايا، فكيف يكون سلوك هذه الفتاة مع هكذا أشخاص؟

الجواب – أن قوانين و ضوابط الأديان الإلهية و المذاهب الأخلاقية هي التي تهتم بالمنحى العام و الخاص بطبيعة العلاقة.

و هنا وجدت أن هذه المسألة في طياتها تتعدى حدود السؤال عن الوظيفة الشرعية و تتجاوزها إلى ما هو أبعد من ذلك حيث منظور الصورة للآخر ، فاخترت أن أجيبه على هذا في نقطية ثلاثية:-

١. أن الشرع الحنيف مبدئيا لا يحرم مطلقا حديث الرجل و المرأة طالما هذا الحديث في ضمن الضوابط الشرعية و التي منها:

ا. عدم الخلوة (في موضع لا يتيسر لغيرهما الدخول فيه إذا احتمل حدوث ما ينتهك حرمة من الحرمات)

ب. الحديث من وراء حجاب.

ج.	الحديث المهذب.

٢. لدينا في العلاقات البشرية نوعان من العلاقة و ذلك باعتبار انقسام البشرية في التكوين إلى قسمين:

الأولى: يمكن تسميتها علاقة المماثلة و المقابلة و أعني بها علاقة النوع بمثله (علاقة الرجل بالرجل و علاقة المرأة بالمرأة)

الثانية: يمكن تسميتها علاقة التباين و التضاد و أعني بها علاقة النوع بالنوع الآخر (علاقة الرجل بالمرأة)

فكل من العلاقتين يحكمه ضوابط و قوانين و أعراف تختلف باختلاف البيئة و الدين و التربية أو النشأة، و كل علاقة تلاحظ ثلاثية هذه العناصر فهي علاقة سليمة و واضحة في ظل العرف السائد في ذلك المجتمع، و إذا لم يتم ملاحظة و اعتبار أي عنصر من هذه العناصر الثلاثة فهي علاقة غير منسجمة و غير طبيعية في ذلك المجتمع.

٣. أن التكوين الفسيولوجي لكل من الرجل و المرأة رغم الاشتراك في جميع أعضاء التركيب الإنساني

مما يؤكد الانسجام بين النوعين البشريين، إلا أن هناك أيضاً اختلافا في شكل بعض هذه الأعضاء مما يؤدي إلى سيكولوجيتين مختلفتين كثيرا في التعاطي مع أحداث الحياة. إن موقف كل منا من الآخر يتبع حقيقة حالة تعايشه الباطني في بلد منشئه أو في غيره، و بذلك نستطيع القول أن هذا السلوك يعكس صدقاً طبيعة الفرد، فإذا كانت طبيعته مستقرة، فإن هذا السلوك لن يخرق نواميس الطبيعة و أن العلاقة التي تكون في حدوده لا تمثل انحرافاً لا في السلوك و لا في الذهن أو الفكر، بمعنى أن حرية التعامل و التفكير ليست مرفوضة أو ممجوجة من قبل المجتمع و العقلاء. فالتحدث إلى المرأة بشكل مطلق و على كل حال يمثل حالة من الانفتاح التي حتما لا يقبلها المتحفظون في هكذا علاقات، و كذلك الحال إن إحجام الرجل بشكل كلي عن تبادل الخطاب في حال استدعى ذلك يمثل حالة من الانغلاق و الانعزال و حالة من الانفصال مع الواقع و لهذا يمكن عندئذ دراسة الحالة بشكل جيد

وجدي. بالتأكيد ليس الهدف أن يدرس كل الحالات الفردية في خطها الطولي لمعرفة مواقعها و موقعيتها في خط العلاقة بين الطرفين ما لم نكن معنيين أساسا بهؤلاء الأفراد، و لكن معرفة كل من النوعين البشريين بوظيفته تجاه الآخر ضمانة أكيدة لحفظ التوازن في العلاقة و لصحة و سلامة هذه العلاقة. و أنا أؤكد على هذه العبارة الأخيرة من معرفة الوظيفة أعني (معرفة أحكام النظام و القانون و الدين).

سؤال آخر – تبادل بشري أم تبادل إنساني؟

عاد إليّ بعد يومين مبتسما، قائلا: لقد كانت الإجابة رائعة و الحوار فيها أكثر من مقنع و مثير. لقد طلب إلينا أحد الأخوة عند استماعه للإجابة التصفيق واقفين للأستاذ.

قلت: له شكرا، إنه من دواعي سروري أن أسمع هذا الإطراء، و أن يكون لتلك الكلمات هذا التأثير الإيجابي، وأن يتم التفاعل معها على هذا النحو، و أنا هنا أيضا أقوم بالتصفيق لكم على هذا القبول الحسن و المدرك.

و بعد قليل من الزمن في لحظات تردد، و بعد حديث قصير قال: كنت قد قدمت إليك السؤال السابق لنفسي و لفتاة أخرى عزيزة على قلبي، و لكن الآن أصبح لأكثر مما أردته أنا، و لقد ظهر أثناء تحاورنا سؤال آخر.

قلت له: حسناً، ما هو؟ لعلي بلطف الله جل وعلا أوفق ثانية في الإجابة عليه.

قال: هذا السؤال من طرف آخر هذه المرة غيري أنا و غير الفتاة.

قلت: أنا ليس لدي أي مانع ما دمت أستطيع الإجابة عليه و إلا التمست أنا و إياكم الإجابة عنه في مصدرها.

قال: حسنا، سأطرح السؤال و هو هل نستطيع أن نفهم أنه علينا أن نندمج في المجتمع الذي نعيش فيه لدرجة الذوبان و أن نؤثر فيه و نتأثر به تأثر العنصر في المركب؟

الجواب – الإنساني في قبال الحيواني و البشري في قبال الملائكي

و هنا أيضا وجدتني أجيبه في نقطية ثلاثية أخرى و قلت له أن التأثير على ما يحضرني الآن له ثلاث جهات:

١. التأثير ربما كان اندماجيا كما في المركبات كاندماج الصوديوم و الكلوريد في الملح، وربما كان التأثير سببياً كما في العلة و المعلول كما في حدوث الاحتراق عند التعرض للنار، و ربما كان تبادليا كما في العلاقات الإنسانية، و ربما كان شيئاً آخر في أشياء أخرى. وكلامنا في الرجل و المرأة و تركب المجتمع منهما معاً، إذن كلامنا في تلك العلاقات المتسمة بتبادل يتجلى فيه الوعي و الإدراك و الحرية و الاختيار و الحقوق كاملة أي في العلاقات الإنسانية متوجة بالحضور المتكافئ للأطراف.

٢. التأثير بين الفرد و المجتمع ليس بإلغاء ذاتيات الفرد و خصائصه أو بانصهاره في المجتمع لدرجة الغياب، أو بشخصنة المجتمع و اختزاله في فرد من الأفراد.

٣. العلاقة التي نتكلم عنها ليست علاقة الفرد و المجتمع، و إنما علاقة الجنس بالجنس الآخر و هي علاقة فردية يحكمها عادات و أعراف و قوانين

و سنن و هوية المجتمع و بالتالي هي هوية أفراده. فإذا نشأ فرد ما و ربي في مجتمع فليس من التكافؤ و ليس من التبادل تقمصه هوية مجتمع آخر بجميع خصائصه فقط لمجرد كونه في ذلك المجتمع المضيف لفترة من فترات حياته. فالتبادل يلاحظ فيه الاحتياج و المنفعة و المصالح و التطور و الرقي و الأخلاق و الدين و الشعور بالانتماء.
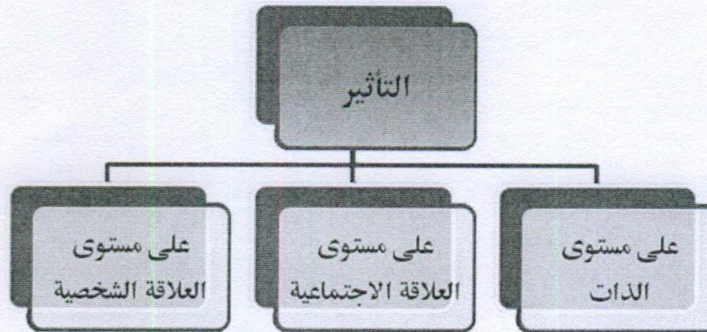
تعريف اجتماعي
ذكر و أنثى
عالم من الأعمال و الجهود
و عالم من التقدير و المكافآت

يَأَيها النَّاس إِنَّا خَلَقْنَكم مِّن ذكَر وَ أُنثى وَ جَعَلْنَكمْ شعُوباً وَ قَبَائلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ سورة الحجرات ، الآية : 13

هذه الثنائية الجميلة هي أكبر ثنائية عرفها الإنسان في وجوده، و لعلها أكبر ما يهم بني جنسه بالدرجة نفسها، فلا يستطيع أن يحيا دونما قلق حولها و دونما استثارات بشأنها، فلابد له أن يسأل لماذا؟ و كيف؟ و أين؟ و ما هو؟ فإن هذه هي نشأته، و آثار الظواهر الطبيعية التي تستثيره نحوها لاستكشاف و فهم أسباب ما يحدث و دوافع ما يراد في محيطه الإنساني.

ذكر و أنثى

نقطة تمايز أم نقطة انطلاق

وَ مَا مِن دَابَّة فى الأَرْضِ وَ لا طائر يَطِيرُ بجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطنَا فى الْكِتَبِ مِن شىْء ثُمَّ إِلى رَبهِمْ يحْشرُونَ سورة الأنعام ، الآية : 38

إن الحياة أو ظاهرة الحياة هي حقيقة وجودية يتسم بها كل كائن وجودي له القدرة على النمو كما يتسم في الجانب المعنوي و الغيبي منه بتركبه من وجوده المادي و الروحي أي أن كل كائن حي يتكون من بعدين : البعد المادي المتمثل في جسمه و البعد الروحي المتمثل في حركة الحياة لديه. و الإنسان كأحد هذه الموجودات لم يشذ عن هذه السنة الطبيعية، فإن الطريقة التي يتم بها التناسل هي انقسام المادة الوراثية (دي إن آيه) إلى جزأين، و يعاد بناء الجزء المفقود بسبب الانقسام من الخلية الأولى في خلية جديدة أخرى فتدخل بذلك البويضة الأنثوية في حالة تطور كما أن أنسجة الجسم تظل محافظة على صحتها و سلامتها. و هكذا تستمر معظم خلايا الجسم في النمو عن طريق الانقسام أو الزيادة في الحجم، و يطلق على الانقسام الخلوي المشار إليه بالانقسام الميتوزي وهو مشابه لانقسام الأميبا غير الجنسي (أي ليس فيه جنس ذكوري أو جنس

أنثوي) الذي يؤدي إلى نشأة كائنين حيين يتكون كل منهما من خلية واحدة، غير أن لمعظم الحيوانات و النباتات شكلا آخر من الانقسام الذي يسمح بخلط المادة الوراثية (دي إن آيه) و يسمح باختلاف في المادة الجينية، و ينتج عنه اختلاف الصفات الطبيعية والبيوكيميائية، و هذا النوع من التكاثر يسمى تناسلا جنسيا و العملية هنا أكثر تعقيدا من مجرد انقسام بسيط لخلية ما.

ولكي يحدث التكاثر الجنسي، من الضروري وجود أعضاء متخصصة تنتج فيها الخلايا التناسلية، تحتوي كل خلية منها على نصف عدد الكروموزومات الموجودة في بقية خلايا الجسم و هذا الانقسام يسمى الانقسام الميوزي، أي زوج من الكروموزومات يسمى الكروموزومات الجنسية و متماثل في الأنثى (XX) و غير متماثل في الذكر (XY) و عندما تتكون الحيوانات المنوية بنصف العدد الكروموزومي فإن 50٪ منها (X) و 50٪ الأخرى (Y) بينما تكون البويضات الإنثوية كلها

(X) أي أنها تحتوي على نوع واحد من الكروموزومات الجنسية و من هنا فإن كروموزوم الحيوان المنوي هو الذي يحدد جنس الإنسان.[1]

---

(1) سير روي كالن – عالم يفيض بسكانه ص 184

عالم من الأعمال و الجهود

و عالم من التقدير و المكافآت

فَأَقِمْ وَجْهَك لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطرَت اللَّهِ الَّتى فَطرَ النَّاس عَلَيها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِك الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ سورة الروم ، الآية : 30

و هنا ثمة ما يدعو للتساؤل في حياة هذا الإنسان و هو: إذا كان الإنسان في أصل خلقته هو هذا الإنسان و ليس غيره من المخلوقات الأخرى كما يقول دارون أو غيره من البيولوجيين في نظرية أصل الأنواع المرفوضة من أكثر علماء الإنسان و البيولوجيا، فهل تتغير أدواره الطبيعية في الفترات الزمنية المختلفة؟ بمعنى آخر: هل أن عملية التكامل بين طرفي الإنسان متغيرة و متراجحة من زمن لآخر أم أن التغير الزماني إنما هو عامل من عوامل تطور الفكر الأيدولوجي دون أن يتغير الإنسان في طبائعه النفسية، و إنما التغير في العادات و الأعراف و التقاليد أي بشكل خاص في أصل سلوكه و هو الفكر؟

هنا أيضا ثمة مقولة فيما يتعلق بالرجل و المرأة مفادها: أن الإنسان بكلا طرفيه قد أشبع احتياجاته على مستوى الدخل و الإنفاق و أصبح قادرا على توفير الحماية لنفسه، فخرجت المرأة من البيت و ذهبت للعمل و استقلت بنفسها في

منأى عن احتياجها للرجل و بذلك أصبح كل منهما متكافئا مع الآخر من حيث الوظيفة على المستوى المادي و هكذا أصبح بإمكان كل من الرجل و المرأة أن يؤدي نفس الدور في المجتمع في عملية أكثر دهشا تجلت في شكلها الأكثر مركزية و نرجسية في الميل إلى ابتغاء السيطرة على الآخرين و بالتالي الحاجة الواضحة إلى التملك و الاستقلال أو تحسين الوضع.

و من هنا تخرج هذه الثنائية، ثنائية الرجل و المرأة عن كونها تكاملية إلى أن تكون تقابلية فتتصف بملامح طبع مختلفة عن سابقتها و يمكن تصنيفها كما فعل فرانسيس بو كمظاهر كالتالي:

١) المظاهر التي تتعلق بصفات عامة للتعبيرات الخارجية، صفات هي فيزيولوجية بقدر ما هي سيكولوجية و تسمى هذه المظاهر بالتصرفات الحياتية أو البيولوجية. و هذه يمكن تصنيفها إلى:-

أ- التقابل بين التنبه و الوهن كما في التقابل بين التصرفات الحازمة، النشيطة، السريعة،

الصريحة، الشديدة، الحيوية، الحادة، المضطربة، و التصرفات الرخوة، الفاترة، البطيئة، اللامبالية، الهادئة.

ب- التقابل (في الحالات الجسدية) السثني و اللاسثني كما في التقابل بين القوة و الضعف أو بين قابلية الجسم للتعب و عدم القابلية.

ت- التقابل (في الحالات النفسية) كما في التقابل بين البهجة و الاكتئاب مثل التقابل بين الابتهاج و التفاؤل و بين الحزن و التشاؤم

ث- التقابل (في مستوى الاستجابة) كما في الانفعالية، التأثر بالأحداث، الميل إلى المقاومة، فقدان ضبط النفس، و رباطة الجأش، و عدم الاكتراث للأحداث، و المقاومة الضعيفة، و ضبط النفس.

٢) المظاهر التي تتعلق بتوجيه التعبيرات إلى الأهداف المنشودة و التي تعتبر طرقا للتكيف مع البيئة و تسمى هذه المظاهر بالتصرفات

الاجتماعية. و هذه تتجلى في المواقف الشخصية كمواقف الشخص بالنسبة لذاته وإلى غيره من جهة (والتقدير هنا منشأه التحيز للقيم النسبية الكائنة في ذاته وفي البيئة)، ومواقف الشخص بالنسبة إلى ضغوط البيئة من جهة أخرى. فتركيز الشخص على ذاته ومواقفه منبعثة من محورية ذاته مما يؤدي بها إلى شكل أقرب للجمود وإلى حب الذات واعتباره غالبا معيار الأحكام التي تصدر عنه. وكذلك تتجلى محورية هذه الذات و مركزيتها في حب الظهور وفي اجتذاب انتباه الآخرين، و ميع المظاهر التي تنزع إلى اقتناص الفرص والمنافع. وهذا على نقيض موقف العطاء وبذل الذات الذي يؤدي إلى الاهتمام بالآخرين حيث (مركزية الغير) فالإيثار والمبادرة وحب المشاركة هي حصيلة هذا الموقف. و لكن ما نراه من ردود على الضغوط والإرغامات بمقاومة أو معارضة بحيث تميل بالشخص نحو تصلب الرأي والتمرد أو الجموح فهو يعبر عن نموذج ثانٍ من التصرفات الاجتماعية.

٣) المظاهر التي تتعلق بتنظيم التعبيرات بغية تكييفها مع الأهداف المنشودة ويطلق عليها التصرفات الفكرية. وهنا يتضح تكيف الإنسان على أثر التجربة والاستفادة من تراكم المعرفة والخبرة وهذا يفترض المقدرة على تثبيت هذه الخبرة والتجربة المعاشة و على استيعابها في مثل اكتساب عادات جديدة توالي حركاته بسهولة، وتزيد في سرعة الإدراك و اتساع دائرة المعرفة. و من هذا ينطلق في تعاليم جديدة للتكيف بنجاح مع أوضاع جديدة فيبرهن على قدراته و مهاراته التطبقية ويبلغ إداركه درجة الإرهاف ويتحلى بالموضوعية والوضوح في التعبير عن أفكاره، كما يبرهن عن مقدراته على التخطيط ووضع الاستراتيجيات والاستنباط و القدرة على الإبداع وذلك سواء في الحقل العلمي، الفني،الأدبي،أو التقني والعملي.[1]

(1) فرنسيس بو – العلاقات الإنسانية ص12

ومن هذا المنطلق الاجتماعي الجديد لتشابه الأدوار خرجت المرأة من دورها التقليدي إلى الدخول في دور الرجل و هنا على المرأة أن تحيا دورين في آن واحد، دورها الأنثوي في كونها أنثى و دورا جديدا ذكورياً مكتسبا من دخولها إلى ساحة دور الرجل.

و هنا مثال – يذكر د. جون جراي في كتابه المريخ والزهرة معا إلى الأبد : أنه في إحدى ندواته قالت له سيدة معبرة عن مشاعرها " إنني أشعر بأني نسخة مقلدة من الرجل، فالنساء في سوق العمل ليس أمامهن قدوة نسائية تمثل النجاح كي يحتذين بها، وإنني لا أدري كيف يطلب من المرأة أن تكون ذات شخصية قوية، وحازمة، وتغلب عليها روح الأنوثة في ذات الوقت، إنني أفتقد التواصل مع نفسي الحقيقية". ثم يضيف تعليقا على هذا فيقول: أن المرأة حين تمضي يومها وهي تمارس أدوار الرجل التقليدية، يكون من الصعب عليها أن تظل بكامل أنوثتها.[1]

---

(1)د. جون جراي – المريخ و الزهرة معا إلى الأبد ص30

و هنا نلحظ أربعة أوجه في هذا التغير الجديد:-

١) كل ما هو ظاهر في الطبيعة متغير و غير ثابت - فإن العلوم الطبيعية، الكيمياء، و الفيزياء، و الجولوجيا، و البولوجيا قد استبدلت صورة الطبيعة من الثابتة التي تتبدل إلى متغيرة و متحركة و بالتالي أصبح لدى الإنسان ما يغريه بتبديل أنماط حياته الخاصة و يدخل على ما كان ثابتا في عاداته و سلوكه و علاقاته كثيراً من المتغيرات.

٢) المغزى الظاهري للحس - عندما جاء ديكارت بفلسفة الصفات الأولية الأساسية و الصفات المكتسبة الثانوية، فإدراك العالم يتم من جهتين :

الأولى: ما تدركه الروح و العقل من التنظيم و هذا إدراك فطري أولي.

الثانية : ما تدركه الحواس من سنن التغيير الكوني و الذي يعتبر صورة لذلك الإدراك الروحي و هو إدراك مكتسب و متغير بطبيعته الآلية. و هذا عزز لدى الإنسان إمكانية تغيير أدواره الاجتماعية لأنها مكتسبات تقليدية.

٣) الثورة العلمية الصناعية – المتغيرات السريعة و الطفرات الصناعية جعل أنماط الحياة تزيد من وتيرة سرعة تبدلها مما لم يبق ما يضمن صحة التنبؤ في كيفية الارتباطات البشرية و إمكانية بقاء السلوك الشائع في المجتمع.

٤) تغيير مفهوم (العالم) من مفهومه القديم إلى مفهومه الجديد الذي سيطرت عليه مفاهيم الاشتراك، و الحرية بحيث أمكن للفرد في الكشف عن ذاته و قدراته للآخرين و أصبح محور التغير في حياة الإنسان هو رغبة الفرد في تطبيق هذين المفهومين في بيئته الاجتماعية.

و النتيجة اختلاط المفاهيم الشخصية و العامة و الموضوع الإنساني و الإنسان الفاعل فالاتجاه بشكل جارف نحو الفردية الذي ينشأ عنه التضاد و التزاحم.

إذن فالإنسان بحسب طبيعته الفردية يميل إلى الحرية و رفض كل القيود التي يستلزمها العيش الاجتماعي و لكن بحسب احتياجاته الاجتماعية أدرك بالتجربة أن هذه الحرية مقيدة عند حرية

الآخرين و بحسب تكوينه الواعي و العقلي أدرك أن
رفع و وضع القيود هو بالمشاركة.

العلاقة الاجتماعية

يَأَيهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَكم مِّن ذَكَر وَ أُنثى وَ جَعَلْنَكمْ شعُوباً وَ قَبَائل لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ سورة الحجرات ، الآية : 13

إن التميز لدى الإنسان كنمط حياتي في الوجود هو قدرته على الترابط بين أفراده في ظل منظومة متعددة من الأنظمة و التقاليد و العادات و الأعراف و الآداب و القوانين و الدين و الانصهار و التكيف في بيئة طبيعية واحدة، فالحياة البشرية متميزة عن غيرها في هذا الإطار بأنها حياة اجتماعية و هي في هذا تقوم على أمرين:-

١) مبدأ الاحتياج و تبادل المنفعة، فطبيعة هذه الحياة تتوقف على تقسيم الوظائف و توزيعها على حسب المواهب و الصفات الطبيعية النفسية أو البيئية و على الاستفادة من نتاج هذه الوظائف و تبادل منافعها و ذلك في ظل منظومة الأنظمة و القوانين و التقاليد

٢) مبدأ وحدة الفكر و الايدولوجيا، حيث أن المجموعات البشرية إنما تتوحد بلحاظ وحدة الأفكار و العقائد و الأخلاق في ظل منظومة الدين و الآداب.

لقد جبل الإنسان في أصل خلقه على التمدن و العيش الاجتماعي المشترك، إذ التعارف

غاية بشرية و نتيجة إنسانية للتشعب و التعارف وإن حقيقة الخلق تنتهي إلى تشكله إلى أمم و قبائل مختلفة و بهذا التشكل تتم معرفة الأفراد و تمييزهم بتحديد هوياتهم و هذا شرط أساسي في الحياة الاجتماعية، فالهوية شيء مشترك في الأفراد و بها يتمايزون. و إذا كانت الحياة الاجتماعية و تشكيل التمدن البشري مبني على ارتباط الأفراد، فإن هذا الارتباط لا يكون إلا عن طريق التعارف و هو تبادل الآراء و الأفكار والمعاملات.[1]

إن جميع العلاقات بأنواعها يمكن أن تندمج في فئة علاقات أكثر شمولا يطلق عليها الجماعة الاجتماعية و من هنا يلاحظ أن طريقة تنظيم هذه الجماعة و أبنيتها تؤثر في طابع العلاقات الأقل شمولا، فإذا حدث أن تصرف أحد أعضاء الجماعة بطريقة مختلفة عن بناء الجماعة، فلا يعني

---

(1) الشهيد مرتضى المطهري – المجتمع و التاريخ ص 25

هذا أن هناك سيكولوجيتين مختلفتين، لأن التصرف الفردي يعود إلى الخصائص والغرائز أو السمات الشخصية للفرد وبناءاً على هذا يكون لدينا عاملان مؤثران في العلاقات الإنسانية، أحدهما: العامل الفردي و الذي تفرضه قوة التعبير الخاضعة لنزوة المصالح العاطفية، و الثاني العامل الجماعي: الذي يفرضه ضبط النفس والتعقل وهذان العاملان مرتبطان بدرجة الوعي والتقدم والتطور لدى الفرد حيث يقوم بإنماء المؤهلات العقلية وتوجيهها نحو الفكرة المترابطة الموضوعية. كما أنه يلاحظ أن هذا الوعي و التطور يتميز بالانتقال التدريجي من الحياة النباتية إلى حياة العلاقة، ومن سيطرة الجهاز العصبي المحرك إلى سيطرة الجهاز العصبي الحسي (مع خفض تدريجي لدرجة التنبهية مما يتيح للكائن البشري اتصالا وثيقا أكثر فأكثر بالوسط المجاور والقريب)، وكذلك الانتقال التدريجي من الحياة الحيوانية أو الغريزية إلى الحياة العاقلة: أي من هيمنة النزوات العاطفية إلى هيمنة ضبط النفس والتعقل، وفي هذا الإطار التطوري يمكن التمييز بين ثلاث مراحل نموذجية-

١) إنسان العمل الغريزي ذو قوة التعبير الخارجية والنزوات العاطفية الحادة جدا وضعف في ضبط النفس والتعقل.

٢) إنسان العمل الحاذق الذي تمكنه قوته التعبيرية ونزواته العاطفية الأقل حدة من التعقل و ضبط النفس ضبطا أكثر فعالية.

٣) إنسان العمل المتبصر الذي ترجح قوة التعبير الخارجي والنزوات العاطفية لديه الكفة لضبط النفس والتعقل على كونها كافية لمباشرة العمل.[1]

فلنا أن نفهم تقنية العلاقات الإنسانية حين يظهرها لنا أناس تغلبت لباقتهم كما كتب شروين كودي " واجه رجلا بابتسامة، و كلمة لطيفة، ومصافحة حارة، فيبتسم لك بدوره، ويتحدث إليك في لطف، ولا يلبث أن يغدو صديقا لك،عامله هكذا و لا تدع له سبيلا للريبة فيك أو التكدر منك فيستمر صديقا صادقا لك".[2]

---

(1)فرنسيس بو – العلاقات الإنسانية ص 92

(2)فرنسيس بو – العلاقات الإنسانية ص 85

مبدآن للحياة
الاحتياج و تبادل المنفعة
وحدة الفكر و الإيدولوجيا
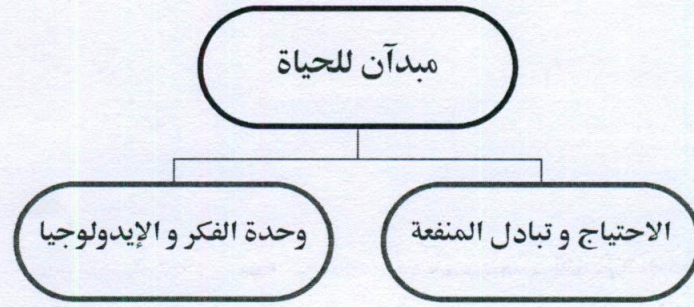
تعريف عاطفي
رجال و نساء
عالم من التفكير
و عالم من المشاعر

يَأَيهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكم مِّن نَّفْس وَاحِدَة وَ خَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَ بَث مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَساءَلُون بِهِ وَ الأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً سورة النساء ، الآية : 1

حينما يتعلق الأمر بالتفكير العاطفي في علاقات بني الإنسان فإن ثنائية إيحائية رائعة تتجلى لتؤكد الطبيعة الوظيفية بين القيومية القيادية كامتياز و بين التربية الإدارية كمهارة، مما يضفي عندئذ تأملا واسعا و وقفة طويلة أمام هذه العلاقة بين الرجل و المرأة.

رجال و نساء

طور جديد من التمايز أكثر تطورا

يَأَيهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكم مِّن نَّفْس وَحِدَة وَ خَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَ بَث مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَساءَلُونَ بِهِ وَ الأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً سورة النساء ، الآية : 1

إن تحمل الإنسان للمسؤولية الكبرى، جعلت منه محل العناية الربانية في اختصاصه بالخطاب الإلهي المباشر. و أن هذه المسؤولية في الحفاظ على الجنس البشري

تندرج تحت طرفين و لكن بسلوك إنساني لا يشبه مطلقا ذلك السلوك الغريزي المشترك في جنس الحيوان، مما يعني النقاء و الطهارة، فهذه أمانة مناطها الإنسان حينما يتصف بأنه ذو رحم. فإذا ما اتصفت المرأة بأنها ذات وفاء فطري، فإن الرجل في أعماقه حنين الاستقرار و السكن، و هكذا يكتشف الرجال و النساء معا ماهية الحياة في شكلها الأكثر استقرارا حينما يتناغم عالم الفكر و عالم الإحساس في قالب حيوي.

عالم من التفكير

و عالم من المشاعر

منحنى من مقاربات بين ذاته و أناه و بين ذاتها و أناها

اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ اَلْأَلْحَاظِ وَ سَقَطَاتِ اَلْأَلْفَاظِ وَ شَهَوَاتِ اَلْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اَللِّسَانِ الإمام علي عليه السلام – نهج البلاغة المقطع 78 من دعاء له

ربما أمكننا أن نتعرف على ذواتنا و أنواتنا و نموقع علاقة الانفعال الشخصي ككائن حي في داخل حقيقته و أمكننا استجلاء جينية هذه العلاقة التي ترسم حقل طويتها في جنباته الأكثر انغماسا في التماهي أو الأكثر كشفا في البينونة مع الآخر إذا تلمسنا حقيقة الانفعالية كموقف أفقي في العلاقة مع الآخر، و في هذه الحقيقة الانفعالية ثلاثة عناصر :

١. الجسدية

٢. الغيرية

٣. القلبية

١- **الجسدية:** إذ أن الجسد يعتبر قناة كاملة للتواصل مع الطرف الآخر، على مقدار و مستوى التواصل اللفظي في نقل الأفكار و المعلومات و المشاعر ، بل إن نسبة استخدام لغة الجسد التواصلية تصل لأكثر من 93٪ استخداما مقارنة باللغة اللفظية. و أنها تتجاوز حدود اللغة اللفظية في نوعية المعلومات، فاللفظ لا يسمح لك أن تفهم أكثر من إطاره في لغة التخاطب عن وعي، في حين أن لغة الجسد تفيد سلسلة كاملة من الأمور المتعددة بتلقائية. فهذه اللغة تكشف أكثر شخصية الإنسان، دوره الذي يؤديه، مشاعره التي يعيشها، اتجاه تفكيره، و علاقته بالآخرين، و هي الأبلغ تأثيرا و أن الثقة بهذه اللغة الجسدية أكثر منها باللغة اللفظية. كما أن لغة الجسد ليست مقتصرة على التواصل فقط، بل أنه ثبت للعلماء أن تغيير اللغة الجسدية قادر على تغيير جميع أنماط حياة الفرد و مقارباته الحياتية.[1]

---

(1)سوزان كيليام – لغة الجسد ص 8

و من هنا، من خلال السلوك الجسدي يمكن للفرد أن يغير من مزاجه، و أن يخلق مشاعر إيجابية أفضل تجاه الآخر، و أن يسيطر على الشعور بثقة أكبر بالذات، فكلما تبدلت لغة الجسد بدون تكلف، كلما أمكن التفاعل مع الآخرين إيجابيا، و تكون ردات فعل الغير انعكاسا للطريقة المقدمة إليهم. فكلام الجسد يحول معنى اللغة، فالتعابير التي ترتسم على الوجه هي عبارة عن كشوفات متجددة لحظة بلحظة مفتوحة لمن يقرأ، كالابتسامة معناها الابتهاج، والعبوس معناه الغضب، والوجوم معناه الحزن، والانشداه معناه المفاجأة.

ولكن الابتسامة إذا كانت على موقف فقد تكون طرفة، وإذا كانت استهزاء بشخص تكون إهانة، وإذا كانت تعود لشيء حزين أو مأساوي فإنها حينئذ تشير جسديا إلى معوق نفسي و إلى قسوة القلب. وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للمظهر والأسلوب والصورة فهي من الدلالات الأساسية في تنبوءات الجسد الداخلية وتمثل

فرقا أساسيا في الدلالات اللغوية للألفاظ، و في تنبوءات الأصول الجذرية للفرد ونمطه الحيوي.

يا أيّها النّبي قلّ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان اللّه غفوراً رحيماً سورة الأحزاب ، الآية : 59

٢- **الغيرية:** الإنسان في أول حضوره يدرك أمرين متلازمين لبعضهما، أنه أولاً يدرك أنه هو نفسه، و ثانياً يدرك أنه هو غيره، و هنا يقع الإنسان في مفهوم الأنا و الذات، و أناة الآخر و ذاته، بين النرجسية في ذاتها الأولى و بين الغيرية في ذاتها الأخرى، فتكون هذه الغيرية سمة رئيسية و مكونة للذات في جانب من جوانبها، و هكذا تظهر الصفات و الخصائص النفسية كلما حدث أن تلاقى في شؤونه الخاصة و شؤون الآخرين، ثم هكذا يزداد نضجه و تغيره كلما ازداد انغماسا في محيطه و بيئته و أصبح يرى نفسه مكونا رئيسيا في مجتمعه. و في هذه المرحلة يعتبر اكتشاف الإنسان لبواعثه النفسية الباطنية من عناصر التشكيل المعرفي للإنسان و وجوده على خلفية أن هذا الإنسان سيمارس الفهم و التفسير و من ثمة التأويل في بحثه عن حقائق الأشياء و عن حقيقة ما يدور حوله و عن هذه العلاقة أو تلك البينونة. و من هنا إذا كان حدث وشيكاً اتصال بين فردين فإنه كما تقول سوزان كيليام: مهما طالت مدة المعرفة بينهما فسيكون هناك مرحلة حسم

حتمي، إذ بعد تبادل التحايا شكلياً و على الصعيد اللفظي، فإن عملية الإتصال تظل على نفس نمطية الإيقاع المتواصلة مع نمطية الإيقاع في الفرد الآخر.[1]

و هذا ما يحيل هذا الاتصال و العلاقة الوجودية إلى ماهية غيروية تتماهى في مشهدها الذات و الذات الأخرى انفعالياً. و هنا في منطق الغيروية أو الأخروية أحب أن أذكر موقفاً حواريا حدث بيني و بين أحد زوارنا في مكتب العمل و كنت قد كتبتها في مقال قصير و أنا هنا سأذكر المقال كاملاً.

---

(1)سوزان كيليام– لغة الجسد ص 18

التفاؤل و الطموح

إشكالية تقترب نسبياً من الأفهام

التحرر من ربقة الوهم و الضياع

هو ما تسعى إليه القيادات جميعها

عندما تتكنى بالجوهر الإنساني

هذه ثنائية أخرى، ثنائية قديمة متجددة و متلازمة و الوجود البشري. فالتفاؤل كنظرية و مذهب فلسفي لبعض الفلاسفة يقسم العالم إلى قسمين، أحدهما غالب على الآخر. فابن سينا ذهب إلى مقولة: أن الخير و الشر شيئان في الوجود يغلب فيه الخير الشر، و يقول ليبينز: أن العالم الذي نعيش فيه هو أفضل العوالم الممكنة، و قد كانت مقولته هذه تكرارا لمقولة الغزالي : بأن ليس في الإمكان أفضل مما كان. فهذه ثلاث رؤى تدخل ضمنا في مفهوم التفاؤل قديما و حديثا، و لكن الثاني و الثالث رؤى سلبية إذ أنها تنفي إمكانية وجود أعلى بشكل مطلق، و دون تحديد لطبيعة هذا الإطلاق، و الرؤية الأولى تنظر للخير و الشر باعتبارهما وجوديان ثم تجعلهما من بين الوجودات الطبيعية، غير أننا نختلف مع هذه الرؤية و في مساحتها و مفهومها و نسبتها. و هذه الحوارية التالية تروي موقفا حقيقيا بشأن الغيرية و التفاؤل

و الطموح مع تصرف في عبارات الحوار وتنظيمها.

حديث غيروي :

لقد حدث هذا الحوار في أحد الأيام ، فبينما كنت صباح يوم في مكتبي في الشركة التي كنت أعمل فيها و إذا أنا برجل يبلغ ٧٠ عاما و معه ابنتيه، إحداهما طبيبة أسنان و الأخرى طالبة طب بشري، و كما بدا لي أن الأب كانت لديه استثارة نفسية سبقها موقف مع احد الزملاء قبلي، و هذا ما جعل مبادأته في الحديث معي بسؤال استنكاري و نقدي و تعبير عن رفض لما أسماه بالروتين المقيد للعلاقات الطرفية و الذي ربما كان حاجزا في طريق تقدم هذه العلاقات، و كان مفاد سؤاله كالتالي: إذا كنت أنا (يعني نفسه) من يقوم بالتعريف على ابنتي هاتين و أنا من يمنحهما ما تملكان، فلماذا يتوجب عليهما الحضور بشخصيهما لاستكمال الإجراءات؟،

أليس هذا روتين لا فائدة منه؟، فأنا أبوهما و لا فرق بيني و بينهما وهذا الإجراء يصنفنا على أننا أشخاص لا علاقة لنا ببعضنا.

أجبته: الحقيقة أن الإنسان يتعامل مع بني جنسه في عدة أطر، وفي كل إطار لا بد أن يحكم ذلك التعامل نظم خاصة تهدف إلى تقنينه واستمراريته، يعبر عن هذه النظم بالقوانين وأخرى باللوائح، و تعتبر هذه القوانين الشيء الآلي و الجامد في هذه العلاقة، و لكن الحياة والحركة فيها هي بمقدار حياة و حركة الإنسان، فحركة القانون نابعة من حركة الإنسان نفسه وعلى مستوى واقعه، و نحن واقعنا هنا يدخل في ضمن إطار علاقة خاصة، علاقة رسمية تتمثل في وجودكم الكريم باعتبار تشخصه في إفرادية ثلاثية كل واحد منها مستقل عن الآخر ولا تقبل في إنشائها بداية التوكيل أو التفويض إلا في بعض صورها، هذا من جهة كطرف ومن جهة أخرى وكطرف آخر يتمثل في وجود هذه

المنشأة الاعتبارية التي تسعى لتقديم خدماتها إليكم بما يلبي رضاكم، و لكن لا بد لهذه العلاقة أولا أن تأخذ شكلها القانوني الملزم للجميع والذي يتراضى عليه بحرية واختيار، ويوثق كذلك باتفاقية نصية تحدد طبيعة هذه العلاقة في أدنى حدودها.

حديث التفاؤل و الطموح:

قال: يبدو لي أن واقعنا هذا بطيء التغير و أن أسس التحسين لم يكتمل إعدادها بل لم يبدأ بعد.

ثم أردف قائلا: لعل لك الحق في التبرير، وإنك منطقي في كلامك و لكن هذا يعيدنا إلى فكرة التخلف الذي نعيشه في عالمنا هذا، إننا في عالمنا الذي نشهده اليوم تشهد علينا الأمم الأخرى بواقع بائس يتم تصنيفه كعالم ثالث متأخر، و ما ذاك إلا لطبيعة العلاقات القائمة.

أجبته: إننا رغم أنه يوجد بيننا المخلصون و المجدون، و لكن ربما لم يكن بإمكاننا أن نغير في واقعنا المريض أو الهزيل، واقع هذه الأمة العليلة أو المجتمع المستكين، فذلك يحتاج للمصلحين المضحين، و لكن بالتأكيد سيكون بإمكاننا أن نغير في هذا الواقع كأفراد من خلال أنفسنا، فإذا فعلنا ذلك و وضعنا الأشياء موضعها عندئذ نشارك بفعالية في تغيير هذا الواقع المنظور بخطوة إيجابية للأمام من منطلق أنفسنا.

وأضفت قائلا: وأنا واثق بأن خطوة كهذه ستأتي.

قال: هذه فعلا خطوة متقدمة، فحركة مثل هذه شاملة لعناصر المجتمع وتوعية أفراده تحتاج لوجود قيادة واعية قادرة على الحركة والتنظير واتخاذ القرار وعلى إحداث التغيير.

قلت له في صيغة استنكارية: هل نحن من يفتقد القيادة أم أن القيادة هي التي تفتقدنا؟ هذا هو السؤال!.

قال: أنا أرى أنك تنظر للأمور بشكل مختلف، رغم أني أجدك متفائلاً بشأنها، و التفاؤل عنصر تكويني في وجود القيادة.

قلت له: التفاؤل أمر طبيعي في المرحلة، وضروري لاستمرار الحياة فهو بشكل أو بآخر يتساوق مع الأمل والطموح.

هنا تدخلت إحدى ابنتيه قائلة: ليس من الضروري أن يكون كل متفائل طموحاً فلا لزوم لهذا الربط بينهما.

قلت: إنها مسألة نسبية نوعاً ما و التفاؤل يكون حينما تكون معطيات الواقع غير كافية لاستكشاف نتائج المستقبل أو أن هذه النتائج غير مؤكدة الوقوع. فإذا وجدت قيادة واعية وفاعلة، استفادت من جميع المعطيات ومن

عناصر المفاجأة الأخرى في صنع واقع آخر يكون أفضل قياساً بسابقه.

ثم أضفت بعد لحظة صمت: رغم أننا في نظرتنا هذه لمفهوم التفاؤل نخالف نظرة الفلاسفة لهذا المفهوم، إذ نحن ننظر إليه من جانبين:

الأول: السيكولوجي كمؤثر في اتخاذ القرار.

الثاني: العقلي كمفهوم نظري يتمحور في ضمن تكوين النظرية العقلية الملهمة للإنسان.

وَ لَقَدْ صدَقَكمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسونَهُم بِإِذْنِهِ حَتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ في الأَمْرِ وَ عَصيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنكم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صرَفَكمْ عَنهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنكمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضل عَلى الْمُؤْمِنِينَ سورة آل عمران ، الآية: 152

٣- القلبية: حالات عرفانية، و معرفة فناء

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلُوبهُمْ وَ إِذَا تُلِيَت عَلَيهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتهُمْ إيمانا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتوَكلُونَ سورة الأنفال ، الآية : 2

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ تَطمَئنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئنُّ الْقُلُوب سورة الرعد ، الآية : 28

أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فَتَكُونَ لهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسمَعُونَ بهَا فَإِنها لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوب الَّتي في الصدُورِ سورة الحج ، الآية : 46

(يا إلهي و سيدي و ربي أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك و بعدما انطوى عليه قلبي من معرفتك و لهج به لساني من ذكرك و اعتقده ضميري من حبك وبعد صدق اعترافي

ودعائي خاضعا لربوبيتك .... اللهم ومن أرادني بسوء فأرده ومن كادني فكده واجعلني من أحسن عبيدك نصيبا عندك وأقربهم منزلة منك و أخصهم زلفة لديك، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك وجد لي بجودك واعطف علي بمجدك و احفظني برحمتك واجعل لساني بذكرك لهجا وقلبي بحبك متيما...) الإمام علي "ع " - دعاء كميل

السؤال المتبادر للذهن هنا هو لماذا القلب و ليس العقل؟ إن مقدار ما ينفتح عليه هذا السؤال من معرفة ومن آفاق الحقيقة بتمظهراتها الجلية والغامضة، القريبة والبعيدة، الغيبية والشهودية، الظاهرة والباطنة هو ما يمثل حدود علاقة الذات بالمطلق أي علاقة المتناهي باللامتناهي وبعبارة فلسفية عرفانية علاقة الوجود الممكن بالوجود الواجب ، وهو أي القلب مركز الإنابة،

والوجل والاطمئنان والتعقل ومركز ما ينطوي عليه الضمير بما هو صوت الذات المتماهية مع نفسها والمتماهية مع غيرها بما هي في طويتها الداخلية شعور وأحاسيس وتمتمات وبما هي في باطنها من حب أو هيام وتيه عاشق يستحيل إلى وجود متماهي مع تجليات المعشوق.
فالإنسان في حقيقته واقعه بين عالمين:

١- عالم الاتحاد، اتحاد الروح ويقال له عالم الأمر وهو جميعه قرب في قرب (قل الروح من أمر ربي) (وما أمرنا إلا واحدة)

٢- عالم الكثرة والأغيار، عالم الغربة و يقال له أيضا عالم الخلق وهو جميعه بعد في بعد، وتباين في تباين، وتعدد في تعدد(خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها)[1]

---

(1)السيد عبدالحسين دستغيب – القلب السليم ج2 ص28

والحديث عن علاقة بين قلبين من منظور تفسيري للسلوك الإنساني يقع في هذا العالم المتباين، لأن القلب كما هي الشواهد المشار إليها على ذلك هو محل اليقين و الصدق و الحب و العطف و التفاعل و معقد العزم و المثابرة. إذن هو مصدر الطاقة و الإلهام. فهو و بصورة مطلقة وراء إنجازات الإنسان. و لأن القلب يمثل جهاز التنظيم و الرقابة على الجسد كذلك بما يعتريه من حالات و تأثرات طبيعية، فإذا ما تغيرت درجة حرارة الوسط الخارجي فسرعان ما يتواصل مع أطراف الجسد الخارجية و مع الجلد لتنظيم تدفق الدم في الأوردة و الشرايين فتتقلص تبعا لهذا التدفق العروق لتتوازن درجة حرارة الجسد الداخلية مع درجة الحرارة الخارجية.[1]

---

(1)د. خالص جلبي – الطب محراب الإيمان ص142

إذن جميع آثار التغيرات الروحية و الجسدية، تسكب تراتيلها في القلب، ليفض نبع عاطفة مسلسلة من المشاعر القوية الباعثة على حركة الحياة.

العاطفة: فالعاطفة كمفهوم هي أمر ذاتي في كل إنسان، فهي من جهة متصلة برغبات الفرد و بقوة تحقيقها و من ثمة على صلة بالطموح و تحقيق الذات، و من جهة ثانية هي متصلة بغرائزه و بصراع الميول النفسية و الاستسلام للمتطلبات الغريزية، و من جهة أخرى هي متصلة بالفكر و العقل و من ثمة امتثال المنطق و امتثال النظام و القانون. فهي إذن من هذا المنطلق هي في كينونة الإنسان و حياته و على اتصال وثيق بعلاقاته الشخصية و الاجتماعية.

إذن إننا جميعا لدينا عاطفة تتمثل في القرارت التي نتخذها، و في المواقف التي نتبناها، وفيما نقوم به ونمارسه من أنشطة

ومسؤوليات، وفي طبيعتنا هي الجزء الخاص الذي كثيرا ما يحدد لنا خطواتنا. فإذا كانت هناك عاطفة ما تجاه شيء ما، فإنها تلامس و بشكل كامن منطقة حساسة في الداخل و يزيد نحوها الإدراك و الإنتباه.[1]

وهنا في هذه المرحلة تتجاذب في الفرد قوى الشخصية، فبمقدار ميل هذه الشخصية لصفة ما في أخلاقه فإنها ستظهر بشكل جلي في سلوكه. إذن الحقيقة أن العاطفة هي الشخصية و هي الإنسان بهذا المفهوم الذي أصفه.

فكيف إذن يمكن للفرد أن يعي نفسه وعاطفته؟

إن في كل إنسان قوى متجاذبة تكشف هذه الشخصية، العاطفة هي التي تشير إلى تلك القوى الكامنة والمتحركة في هذه الشخصية، فالعاطفة هي موضع إظهار الرغبات، و القوى الشخصية هي

(1)ريتشارد تشانج – خطة العاطفة ص21

العوامل التي تعمل على إثارة تلك الرغبات كل منها على انفراد. لهذا فإن هذه القوى هي بمثابة الصورة الذهنية للشكل الهندسي لمبنى ما، و العاطفة هي بمثابة طوب البناء في تركيبه في نمط معين فيظهر بعد ذلك صورة الشكل الهندسي الخارجية. لقد أخبرنا ذات مرة أحد أساتذة اللغة عندما كنا على كراسي الدرس في الجامعة و هو أمريكي من أصل إنجليزي: أنه قبل أن يتعرف على زوجته الألمانية، كان يحب التمثيل و كان كثيرا ما يشارك في مسرحيات و نشاطات الجماعات التمثيلية، و كان كثيرا ما يقف أمام المرآة ليقوم بدور ما أو ليتقمص دورا ما، و يقول أنه بمجرد أن يعرف أنه سيقوم بدور ما فإن نبضات قلبه تتسارع بشدة، لقد كان يؤدي أدواره بمناجاة قلبه أمام المرآة ليرى كيف يمكنه أن يؤثر في جمهوره، إلا أنه كان لديه هناك رغبة أخرى ضامرة و هي رغبته في اكتشاف و تعلم لغات الخطاب لدى الإنسان و صادف أن تعرف على زوجته التي كانت تحب

دراسة اللغات و لشدة العاطفة التي كانت تربطه معها نمت لديه رغبته الضامرة على رغبته التي كان يمارسها، و من ثم احترف اتجاها آخر. و هذا ما يثير لدى البعض شيئا من الدهشة و الاستغراب. و لكني أرى أن عاطفته ما كانت لتظهر لشيء لا يجده في نفسه أو لا يلتقي معه في شيء من قواه الشخصية.

العلاقة الشخصية
فن وخصوصية

إن الفنون العديدة التي يتعلمها المرء (رجل و امرأة) في حياته، بدأ من الخطاب والقدرة على التعبير وانتهاء بمعارفه الفكرية التي تكون انتماءاته، إنما تنشأ وتنمو في بيئة جماعية. ولكن هناك حاجيات فطرية يتلمسها في ذاته تجنح نحو داخله بعيدة عن إطار الانتماء. ولهذا كلما توغلت حاجيات الفرد نحو داخله أكثر فأكثر، كلما اتجهت صفات الفرد نحو شخصنة علاقاته الموازية وأصبحت خصوصياتها أكثر حساسية لملامستها لعاطفته. وهنا يتمايز الرجل والمرأة عن بعضهما، لأن أشد الحالات خصوصية هي عندما تكون في كيفية التعاطي مع بعضهما عندما يكون على تماس مع تلك الحاجيات. فالرجال والنساء لديهم بحسب الطبيعة حاجات عاطفية مختلفة، والرجال والنساء يمارسون سد احتياجاتهم بتبادل فطري يتأرجح بين الجذب والشد، وتتناوب فيه حالات القبول والرفض، وكلاهما (أي الرجال و النساء) في ذات الوقت يشعر باستقلالية ذاته عن الآخر . ولهذا يصنف الدكتور جون غراي الاحتياجات إلى كونها احتياجات عاطفية تعود في

أصلها إلى الحب فيفرق بين ما يحتاجه الرجال وبين ما تحتاجه النساء كالتالي[1]:

أشد الحالات خصوصية في كل من الرجل والمرأة هي في كيفية التعاطي مع بعضهما

احتياج النساء	احتاج الرجال
الرعاية	الثقة
التفهم	التقبل
الاحترام	التقدير
الإخلاص	الإعجاب
التصديق	الاستحسان
التطمين	التشجيع

و يعبر عن هذه الاحتياجات بالاحتياجات الأولية التي تحتاج إلى إشباع.

(1)د. جون غراي – الرجال من المريخ النساء من الزهرة ص189

الطبيعة البشرية

دوافع و أهداف في مسيرة الحياة

لفهم الطبيعة البشرية، ربما علينا أن نتعمق قليلا مع الاختصاصين من علماء النفس و علماء العصب الحيوي لنستنتج كيفية نشأة العلاقات في الإنسان بفهم أكبر للعلاقة القائمة بين مكونات الجسم البشري الاتصالية و بين محيطه النفسي و الاجتماعي. يقول الدكتور مورتن ريزر: إنه مأزق يتعلق ببقاء الغموض و الإبهام المحيط بطبيعة العلاقة بين الذهن و العقل و بين العقل و الجسم. في الوهلة الأولى، إذا اعتمد شخص ما على تجاربه اليومية و حسه المشترك، فسيبدو أنه لا توجد مشكلة على الإطلاق. فالعقل جزء من الجسم، و هو ينظم و ينتظم مع بقية الجسم، و من الواضح أنه يفيد مجموعة الوظائف الذهنية. و أكثر من هذا، أنه معروف أن حالات الذهن تؤثر في الجسم لتدفعه نحو تعميق و تجذير أساليب تكيفه و وسائل اتصاله. مشاكله الحياتية، عواطفه، الضغوطات التي يواجهها، و مجموعة كبيرة من الحالات المتضاربة و الحوادث المتغيرة المعروفة

بالمترددات السبقية أو الشرطية من مرض ، و ابتهاج و موت مفاجئ. و من جهة أخرى، إن الوظائف النفسية الفعالة و الاستقرار العاطفي تساعد و تدعم صحة الجسم، و يترتب عليه سلامة العلاقات الإنسانية. ثم يقول تحت عنوان (افتراضات أساسية): في بداية المهمة، لأوضح النزعة العامة التي تناولتها. و الافتراض الأساسي هو أن العقل عضو الذهن أو جهاز الذهن، بمعنى آخر أن العقل يفيد مجموعة الوظائف الدماغية التي يطلق عليها الذهن إضافة للوظائف التي يتداولها الأفراد في محيطهم الاجتماعي. و في الوقت نفسه يعمل العقل على تنظيم، و تفعيل الاستجابة المتبادلة مع بقية الجسم. و من ثم بحس أكبر يقوم الذهن بعكس الوظيفة ليس فقط من العقل، وإنما أيضا من كل الجسم من خلال تأثيراته على العقل. اجتماعيا، يمكن أن يعتبر الذهن، و العقل، و الجسم مجال سلسلة متوالية من الأنظمة الوظيفية المفتوحة على نحو اتصال

ثنائي تبادلي للطاقة و المعلومات، أو للعاطفة و الانفعالات في كل سطح بيني كما في الرسم.[1]

Prof. Morton F. Reiser – Mind, Brain, Body P13-16(1)
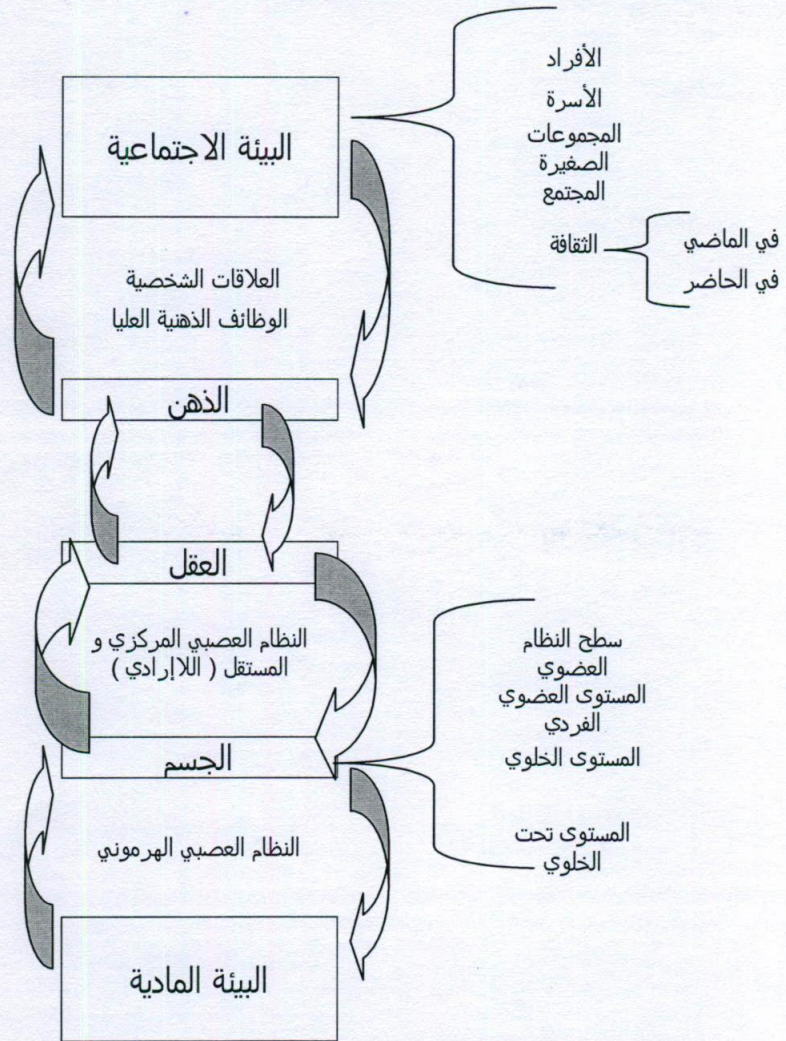
نموذج لشخص في بيئة اجتماعية نفسية حيوية

سلسلة أنظمة الاتصال الأولية و الثانوية

و من هنا فإن مسيرة الأحداث المعاشة التي تفيد استكشاف الحياة بتغيراتها لا يمكن أن تفهم خارج هذه المنظومة. يقول جاري زوكاف: أن المجتمع و الثقافة تمت تأسيسهما على قيم و مدركات هذه المنظومة من الحس و التفاعلات.[1]

فمنطق و فهم الحواس و الأحداث المادية ينشأ و يتكون في الذهن أولا. ثم إن هذا الفهم الذي يعكس المعاني الإنسانية يتمركز في القلب، فهو بنظرة معرفية دقيقة لا بد أن يلامس تنبهات الحس و الشعور. يقول جاري زوكاف: إذا لم يتم مصاحبة هذه العواطف في استراتيجية فكرية فلن يتم إدراك أو استيعاب الأحداث و النشاطات التي تقع وراءها، و لا طريقة تفاعل هذه النشاطات ، و لا كيفية الاستفادة منها، هذه العواطف عبارة عن تيارات من الطاقة، و وعي هذه العملية هو الخطوة الأولى في الكينونة. و يقول أيضا: أن هذه العواطف تعكس أهداف

Gary Zukav – The Seat of the Soul. P162(1)

المرء، و الاهتمام بها يعني اهتمام بهذه الأهداف، فأي تعارض بين هدف شعوري وبين هذه العواطف المصاحبة له، فإن هذا يشير إلى أن هناك مظهر انفصالي مع الذات مما يستدعي إلى التأمل بعمق في كيفية المعالجة. و بدون هذه العواطف لن يعرف أحد تقدير ذاته أو منجزاته.[1]

إن كل ما أردته من المعالجة و المقاربة السابقة هو محاولة الاقتراب من الطبيعة البشرية بكلا نوعيها، محاولة إدراك كيفية تفكير كل منهما و توجهاته، و هل أن كل منهما معني بالآخر بنفس درجة العناية، و بنفس الشكل و المضمون أم لا، لنتعرف بعد ذلك على أفضل طريقة لتبادل التعامل. هنا لدي مثال من لدن الدكتور تيموثي ميلر. في فصل طبيعة البشر يقول: تصور معي الآن هذه المحادثة بين ميلتون و روجر، و هما بالإضافة إلى كونهما صديقين، هما يتقسمان ذات الغرفة مشاركة في السكن و هما في العشرينات من العمر. ها هما يشاهدان فيلما تلفزيونيا، يبرز ليس على نحو مفاجئ ممثلة فاتنة عمرها يقارب الخامسة و العشرين سنة.

Gary Zukav – The Seat of the Soul. P59 - 61(1)

ميلتون: يا إلهي، إنها جميلة للغاية، سأعطي أي شيء لأكون معها في نهاية الإسبوع.

روجر: حسناً، ماذا ستعطي؟

ميلتون: سأقدم إحدى كليتي. ..... حسنأ، سأقدم كلتا كليتي جميعاً..... نعم، و لكن من بعد و ليس من قبل. لأني إن قدمتهما من قبل، فلن أستمتع بنهاية الإسبوع، أحب أن أموت رجلا سعيدا.

روجر: ميلتون، أحب أن أسألك شيئا. لماذا تبدو متحمسا بشأن هذا التفكير؟

ميلتون: أنت لا تظن أنها مريعة؟

روجر: أوه، لا. بالتأكيد، إنها فاتنة. أنا أعني، لماذا أنت متحمس جداً لأن ترقص المامبو أفقيا مع امرأة جميلة تشاهدها في التلفاز؟ بينما أنت لديك عدة علاقات مع فتيات جميلات أخر.

ميلتون: أنا كنت عادلا مع هؤلاء الفتيات، هن لطيفات، و لكن لسن ..... كما ينبغي، هن لطيفات،

و لكني لست .... . حسناً، على أية حال أنا رجل حر.

روجر: أنا لا أنتقدك، ملتون. أنا فقط أتعجب لماذا أنت لهذا الحد ____ أنت تعرف، لا مبال بامرأة لطيفة تحبك، و متحمس جدا لهذه المرأة في التلفاز أنت لم تقابلها و لن تبتهل معها في يوم من الأيام.

ميلتون: أوه .... أنت تأخذ فصلا آخر في علم النفس البشري، أليس كذلك؟

روجر: لا، ليس كما تظن، في الحقيقة، أنا فقط أتعجب.

ميلتون: حسناً، هذا شكل لسؤال متبلد، أليس كذلك؟ هذا شكل لسؤال حمار لماذا يحب الموز..... (ملتون لا يزال يشاهد بشغف) أووو إنها...

روجر: هذه ليست مقاربة جيدة، فالحمار يحتاج للأكل، إضافة إلى أنك لا تحتاج إلى ممارسة ....

ميلتون: إذن، روجر، لماذا تسأل مثل هذه الأسئلة الحمقاء؟ إنها الطبيعة البشرية، هذا كل شيء. إنها فقط تنساق لما يأتي طبيعياً. الطيور طبيعتها الغناء، النحل طبيعتها اللدغ و صنع العسل، أو أي شيء، و الرجال يحتاجون إلى نساء جميلات مثلها. أنا أعرف أنه من المحتمل أن ينتهي بي المطاف متزوجاً بأنّا أو بميريل، لكن، أنت، ما المشكلة في أن تحلم و تأمل.

روجر: لا مشكلة، ميلتون، أبدا لا مشكلة. أنا أيضا أفعل ذلك، أحلم و آمل. هذا معنى لماذا أنا أسأل. إن قولك هذه هي الطبيعة البشرية لا يشرح حقيقة أي شيء، أليس كذلك؟ أنا أعني، ما هي الطبيعة البشرية؟

ميلتون: حسناً، أه، أنا لا أستطيع أن أقول ما هي، لكني أعرفها عندما أراها.

و الآن لنتصور الحوارية الأخرى بين كيمبرلي و تانيا، زوجتان في منتصف الثلاثينات تعرفان بعضهما منذ عدة سنوات. كلتاهما لديها طفلان، تلاقيتا في السوبر ماركت.

تانيا: مرحبا، كيمبرلي، ما جديدك؟

كيمبرلي: مرحبا، تانيا. لنرى، ما الجديد؟ أظن أن أكبر خبر لدينا في المنزل في هذه الأيام هو أننا حصلنا على أثاث جديد، إضافة إلى قليل من إعادة هندسة الديكور. لقد استرددنا كثيرا من ضرائبنا، و نعيد تصنيف المتبقيات. حسناً، أنا أنجزت الكثير. تد مستمر في الباقي، لكن تعرفين من هم الرجال. أخبرني تد مرة أنه علينا أن نفرش المنزل بالزل العشبي لتوفير الوقت و المال.

تانيا: على ماذا ستحصلين؟

كيمبرلي: أنا حقيقة أنعم بنحو من الإشراق، عليك أن تأتي لتري ذلك بعد أن نضع الورق الجداري. إنها فوضى الآن. لقد وجد محلا في سنفرانسيسكو حيث لديه أروع الورق الجداري و لهذا نحن نقوم بتغييره. لقد حصلنا على أريكة جديدة كما حصلنا على كرسي... حيث أنه ... كما تعرفين أن هذه الأشياء ترينها في المجلات و لا يمر في خاطرك أنك ستحصلين عليها أيضا. سنتخلص من

طاولة القهوة البغيضة تلك، التي تذكرينها.و سنحصل على مجموعة للطعام جديدة. زوج من الأشياء الأخرى، و قطعة موكيت فاخرة، الشيء الجميل هو أننا قادرون على شرائها. أنتظرك بفارغ الصبر حتى أريك إياها.

تانيا: هل تمانعين لو سألتك سؤالا ساذجاً؟

كيمبرلي: أكيد، لم لا، تفضلي.

تانيا: ما كانت مشكلة الأشياء التي كانت لديك من قبل؟ إنها لم تكن رثة أو بالية و لم تكن قبيحة. أنا دائما ما كنت أظن أنك تملكين منزلا جميلا.

كيمبرلي: ليس هناك أي مشكلة، هكذا فقط، حسناً الأشياء الجديدة أكثر أناقة.

تانيا: أنا متأكدة أنها جميلة جدا، لكن لماذا المعاناة؟ أنت ستستخدمين الأشياء و تستمتعين بها لمدة شهر أو شهرين، ثم بعد ذلك لن تلاحظيها و ستنسينها. لماذا لم توفري مالك للشدة؟

كيمبرلي: إنه ممتع فقط. عندما تحصلين عليها جميعا كما توافق رغبتك يكون ذلك رائعا. تانيا،

أنت أيضا كذلك، أنا أتذكر السنة الماضية عندما قمت بصبغ غرفة الصالة.

تانيا: أنا أعرف أنني كذلك على طريقتك. أنا فقط أتعجب لماذا نهتم بالمظاهر لهذه الدرجة.

كيمبرلي: تانيا، أنت مرآتي المفضلة! من يدري! من يهتم! هذا ممتع، ذاك هو المهم. إنها فقط الطبيعة البشرية.

تانيا: حسناً، أنا أوافقك، لكن الطبيعة البشرية هو مجرد عذر لشراء أثاث جديد. ما هي الطبيعة البشرية؟ أنا أعني، أن كل واحد يبدو أن لديه فكرة مختلفة، لكن ما هي هذه الطبيعة البشرية؟

كيمبرلي: أنا لا أعرف. لقد كنت أعتبر أن مادة الفلسفة مملة. سأتصل بك قريباً، أو لماذا لا تمرين يوم الاثنين بعد إيصالك للأطفال؟[1]

لقد أراد الدكتور تيموثي ميلر من خلال الحواريتين السابقتين أن يقول أن الغرائز و الرغبات هي جزء من طبيعة

Timothy Miller – How to want what you have P 54 - 61 (1)

الإنسان بالإضافة إلى الطبيعة الروحية و الفكرية، (أي أنها جزء تكويني في تركيبه) فالإنسانية عالم معقد جدا، و لكن ربما انساق أحد أفراد الإنسانية نحو طبيعة من طبائعه و فسر تصرفاته بأنها مقتضى الطبيعة البشرية. و لكن بما أن الطبيعة البشرية هي عبارة عن عدة قوى متمازجة في كيان واحد لا يمكن أن يفسر سلوك ما بحسب طبيعة واحدة إلا و كان اختلال في المفاهيم و الأهداف المنشودة من الإنسانية و المبادئ. و من هنا يظهر لدى الإنسان الثناء و الإطراء حينما يتسم بالقيم و المبادئ السامية و الأخلاق العالية و الفكر الواعي، و على عكس ذلك يكون العكس. و من خلال حوار روجر و ميلتون ندرك أن الطبيعة البشرية في بعض الناس هي طبيعة غرائزية ومنها نفهم الخطاب الإلهي (فاسألوهن من وراء حجاب).

بحث في الحجاب

- مسألة الحجاب

لماذا؟

- فتاوى فقهية

خط و خطى

- اللغة و الأدب

مفردة لها معنى

- القرآن الكريم

تأملات تتملكني

- نصوص تفسيرية

اقتراب من النص اقتراب من الالتزام

- من معين أهل البيت (ع):

نظرة في الجذور حيث يعود

و تأمل في الحدود حيث ينتهي

- خاتمة : معامل الارتباط

صورة إجمالية للذات

مسألة الحجاب

لماذا؟

لعل بيننا من يسأل لماذا الحجاب؟ و لماذا هذا التقييد لحرية المرأة؟ و هل من العدل أن يفرض الإسلام الحجاب على المرأة؟ فيبدأ آخر بالتفكير للإجابة عن هذه الأسئلة و البحث عن حلول لمشكلة يتجاذب في طرفيها بين جذب و طرد و بين أخذ و رد. و لكن لعل السؤال هو لماذا السفور؟ و هل السفور حرية؟ و إذا كان الحجاب تقييدا فهل هو تقييد للمرأة دون الرجل؟ و هل من العدل إباحة السفور؟ يمكننا أن نتأمل قليلا و سنصل جميعنا إلى نقاط التقاء حتما، عندما نلاحظ النتائج طبقا للواقع.

جاء في بعض التفاسير: أن شابا من الأنصار استقبل في طريقه امرأة حسناء متسامحة في حجابها، مظهرة محاسنها، فاستهوت فؤاده.. فأتبعها النظر و مشى خلفها بصورة لاشعورية..

فكلما سلكت طريقاً سلكه هو أيضا، و حيثما دخلت منحنى دخل هو وراءها، حتى دخلت في زقاق وهو خلفها، فاعترض وجهه شيء حاد، أو زجاجة أو ما شابه ذلك ، مثبت في الحائط، فشق وجهه وهو لا يشعر، فسالت الدماء

على صدره، و هو لم يشعر بما أصابه إلا بعد أن توارت المرأة في بيتها..[1]

فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وشكا له أمر الفتاة، وحكى القصة، فنزلت قوله تعالى:

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون

سورة النور ، الآية: 30

لعلي أستطيع أن أفهم هنا أن في طبيعة (مظهر) المرأة الإثارة، و في طبيعة (غرائز) الرجل الاستثارة. و هذا جانب من جوانب فلسفة الحجاب، و هناك الكثير من بحث هذا الموضوع.

---

(1) السيد محمد الشيرازي – الحجاب في القرآن ص6

كان هناك عابد يدعى (برصيصا) في بني إسرائيل و كان كثير العبادة لله و من شدة عبادته أصبح مستجاب الدعوة. وذات يوم جاءه أخوة' أربعة كانت لديهم أخت خرساء جميلة.. حتى يدعو الله لكي يحل عقدة لسانها. بيد أن العابد كان مشغولا بالتعبد داخل الصومعة، فقد ترك الأخوة الأربعة أختهم الخرساء عند الباب لكي يدعو لها العابد.
وفي الصباح فتح العابد الباب ليفاجأ بهذه الفتاة الجميلة الرائعة غير المحجبة.. فسحره جمالها.. وبيت في نفسه أمراً، بعد طرح عنيف بين شهواته وعقله.. فأخذ الفتاة إلى الداخل.. و ارتكب خطيئته بها.. إلا أنه خاف من الفضيحة.. فوسوست له نفسه لكي يقتلها .. وفعلا أقدم على ما وسوست له نفسه الأمارة و قتلها و دفنها !!
وعندما جاء الأخوة الأربعة لأخذ أختهم لم يجدوها.. فسألوا عنها.. فأنكر العابد علمه بها.. فاخذ الأخوة الأربعة بالبحث عن أختهم حتى عثروا في نهاية المطاف على بقعة من الأرض مبعثرة.. فحفروها.. وإذا بهم يجدون في داخلها جثة أختهم..
أخذوا العابد إلى وسط بلدتهم.. فاعترف بجريمته البشعة.. و عندما التف حبل المشنقة حول عنقه، تمثل له الشيطان قائلا: إنني أنا الذي أوصلتك إلى هذه الحالة وإنني أستطيع أن أنجيك.. ولكن بشرط!.
فقال العابد في لهفة: ما هو الشرط؟
أجاب الشيطان: أن تسجد لي.
فقال العابد: لا أستطيع السجود وأنا بهذه الحالة.
فقال الشيطان: اسجد لي بإيماءة من عينك.
وفعلا: أومأ العابد بعينيه كرمز للسجود للشيطان..
وإذا بالحبل يلتف حول عنقه وينتقل إلى نار جهنم: زانياً.. قاتلاً.. كافراً !!.

فتاوى فقهية

خط و خطى

وَ مَا خَلَقْت الجِنَّ وَ الإنس إلا لِيَعْبُدُونِ سورة الذاريات 56

إن الهدف المنشود لخلق الإنسان هو سلوكه التكاملي نحو الحق بما لا يحرف سيره عن خط برامجه الإلهية التي وضع الله سبحانه لخلقه على يد الأنبياء و الرسل، و إن التزامه في جميع حركاته و سكناته بهذه التعاليم الإلهية لهو التزام بهذا الخط الإلهي الذي يوصله إلى صفة الكمال و التحرر من ربقة الجهل و من عبودية الأهواء و الجهل. و إن الفقه هو المنهج الذي من خلاله يستطيع الإنسان اتباعه لتحقيق عبوديته لله سبحانه و تعالى.

و هنا تسجيل لبعض فتاوى الفقهاء العظام مما كان بين يدي من الرسائل العملية أحببت أن أضيفها هنا لتضفي على البحث مسحة من الكمال المنشود.

منهاج الصالحين - الإمام الخوئي

مسألة ١٢٣٣ : يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه و الكفين عن غير الزوج و المحارم بل يجب عليها ستر الوجه و الكفين عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذه بل عن غير المحارم مطلقا على الأحوط ولا يجب على الرجل الستر مطلقا.

المسائل المنتخبة - الإمام الخوئي

مسألة ١٠١٩ : لا يجوز للرجل أن ينظر إلى ما عدا الوجه و الكفين من جسد المرأة الأجنبية و شعرها، و كذا الوجه و الكفين منها إذا كان النظر نظر تلذذ أو ريبة ، بل الأحوط لزوما تركه بدونهما، وكذلك الحال في نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي على الأحوط في غير وجهه و يديه و رأسه و رقبته و قدميه، و أما نظرها إلى هذه

المواضع منه فالظاهر جوازه من دون ريبة و تلذذ و إن كان الأحوط تركه أيضا.

مسألة ١٠٣٠ : لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية في موضع لا يتيسر الدخول فيه لغيرهما إذا احتمل أنها تؤدي إلى فساد، و لا بأس بالخلوة مع إمكان دخول الغير و لو كان صبيا مميزا أو مع الأمن من الفساد.

مسألة ٥٣١ : يحرم النظر إلى بدن المرأة الأجنبية و الصبية المميزة و إن لم تبلغ التاسعة. و كذلك لا يجوز النظر إلى شعرها، سواء كان كان بريبة أم لا. و كذا لا يجوز النظر إلى الوجه و الكفين مع الريبة، بل الأقوى حرمة النظر بإشباع بدون ضرورة و لو مع عدم الريبة.[1]

مسألة ٥٤٠ : لا يجوز للرجل أن يخلو بالأجنبية بحيث كانا مأمونين من دخول الغير عليهما مطلقا سواء كانت الخلوة للعبادة أو لغيرها، نائمين أم يقظين. بل الأقوى بطلان

---

(1)السيد الكلبيكاني – مختصر الأحكام ص180-179

صلاتهما في الخلوة. أما إذا لم يمنع من الدخول عليهما مانع، أو كان معهما صبي مميز فلا إشكال فيه.[1]

مسألة ٩٩٠ : لا يجوز للرجل أن ينظر إلى ما عدا الوجه و الكفين من جسد المرأة الأجنبية و شعرها، و كذا الوجه و الكفين منها إذا كان النظر بريبة ، بل الأحوط لزوما تركه بدونها، وكذلك الحال في نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي على الأحوط في غير وجهه و يديه و رأسه و رقبته و قدميه، و أما نظرها إلى هذه المواضع من الرجل فالظاهر جوازه فيما إذا لم يكن بريبة و إن كان الأحوط ترك ذلك أيضا.

مسألة ١٠٠١ : لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية في موضع لا يتيسر الدخول فيه لغيرهما إذا احتمل أنها تؤدي إلى فساد، و لا بأس بالخلوة مع إمكان دخول الغير و لو كان صبيا مميزا أو مع الأمن من الفساد.[2]

---

(1)السيد الكلبيكاني – مختصر الأحكام ص179-180

(2)السيد الروحاني – المسائل المنتخبة ص329-331

مسألة ٨٦٠ : يحرم النظر إلى الأجنبية من شعرها و سائر جسدها، و إن لم يكن عن شهوة و تلذذ كما يحرم النظر إلى الوجه و الكفين مع التلذذ و الريبة، بل يحرم مطلقا على الأحوط.

مسألة ٨٦٦ : تحرم الخلوة بالأجنبية مع احتمال المفسدة و عدم إمكان دخول غيرهما و لو كان صبيا مميزا.[1]

مسألة ١٠١٩ : لا يجوز للرجل أن ينظر إلى ما عدا الوجه و الكفين من جسد المرأة الأجنبية و شعرها، و كذا الوجه و الكفين منها إذا كان النظر نظر تلذذ أو ريبة ، و الأحوط تركه بدونهما أيضا، وكذلك الحال في نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي على الأحوط في غير وجهه و يديه و رأسه و رقبته و قدميه، و أما نظرها إلى هذه المواضع منه فالظاهر جوازه من دون ريبة و تلذذ و إن كان الأحوط تركه أيضا.[2]

---

(1)الشيخ الغروي – الفتاوى المستنبطة ص257-258

(2)الشيخ التبريزي – المسائل المنتخبة ص306-308

مسألة ١٠٣٠ : لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية في موضع لا يتيسر الدخول فيه لغيرهما إذا احتمل أنها تؤدي إلى فساد، و لا بأس بالخلوة مع إمكان دخول الغير و لو كان صبيا مميزا أو الأمن من الفساد.(1)

مسألة ١٠١٩ : لا يجوز للرجل أن ينظر إلى ما عدا الوجه و الكفين من جسد المرأة الأجنبية و شعرها، و كذا الوجه و الكفين منها إذا كان النظر بتلذذ شهوي أو مع ريبة ، بل الأحوط استحبابا تركه بدونهما أيضا، وكذلك الحال في نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي على الأحوط لزوما في غير ما جرت السيرة على عدم الالتزام بستره كالرأس و اليدين و القدمين و نحوهما، و أما نظرها إلى هذه المواضع منه فالظاهر جوازه من دون ريبة و تلذذ شهوي و إن كان الأحوط تركه أيضا.(2)

---

(1)الشيخ التبريزي – المسائل المنتخبة ص306-308

(2)السيد السيستاني – المسائل المنتخبة ص 404-406

مسألة ١٠٣٠ : لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية مع عدم الأمن من الفساد و إن تيسر دخول الغير عليهما، و لا بأس بها مع الأمن منه.[1]

مسألة ١٨ : لا إشكال فى عدم جواز نظر الرجل إلى ماعدا الوجه و الكفين من المرأة الأجنبية من شعرها و سائر جسدها ، سواء كان فيه تلذذ أم لا ، و كذا الوجه و الكفان إذا كان بتلذذ و ريبة ، و أما بدونها ففيه قولان بل أقوال : الجواز مطلقا ، و عدمه مطلقا ، و التفصيل بين نظرة واحدة فالاول ، و تكرار النظر فالثاني، و أحوط الأقوال أوسطها .

مسألة ١٩ : لا يجوز للمرأة النظر إلى الأجنبي كالعكس ، و الأقرب استثناء الوجه و الكفين .[2]

مسألة ٢٣ : كما يحرم على الرجل النظر إلى الأجنبية يجب عليها التستر من الأجانب ، و لا يجب على الرجال التستر

---

(1)السيد السيستاني – المسائل المنتخبة ص 404-406

(2) الإمام الخميني – تحرير الوسيلة

وإن كان يحرم على النساء النظر إليهم عدا ما استثنى ، و إذا علموا بأن النساء يتعمدن النظر إليهم فالأحوط التستر منهن و إن كان الأقوى عدم وجوبه.[1]

س ١٠٩٤: ما هو حكم أمر ونهي النساء ذوات الحجاب الناقص؟ وما هو الحكم لو خاف على نفسه من إثارة النهي باللسان للشهوة؟ ج: النهي عن المنكر لا يتوقف على النظر بريبة إلى الأجنبية، ويجب على كل مكلف الاجتناب عن الحرام، لا سيما عند قيامه بفريضة النهي عن المنكر.[2]

---

(1) الإمام الخميني – تحرير الوسيلة

(2) السيد الخامنئي – أجوبة الاستفتاءات

في الحكم الفقهي

نظرة تأملية تحليلية

نلاحظ في هذا الجانب الفقهي للمسألة أنه يتحدث عن القضايا العملية للإنسان، باعتبار أن علاقة الر جل بالمرأة كلما اتجهت عمقا انطلاقاً من الغريزة و العاطفة، مرورا بالعقل و الفكر، وانتهاء بالنظام الذي يمثل أرقى درجات هذه العلاقة، و هذه القضايا التي هي بمثابة القوانين في النظام و التي مفادها الحكم الشرعي من الوجوب و الحرمة و الاستحباب و الكراهة و الجواز، تتعلق بعمل الإنسان الاختياري حيث يترتب عليها مصلحة هذا الإنسان دنيويا و أخرويا. هذه الأحكام بشكل صياغتها العملية هي صيغ النظام الحقيقي و الواقعي الذي يمثل ضمان مصالح الحياة. و لهذا نلحظ أن أسس و منطلقات التعامل و التعاطي مع الآخر كمغاير نوعا، كما هو واضح من خلال التمثيل البياني التالي: -

و كما هو واضح أيضا، أنها تشير إلى طبيعة هذا الواقع.

و عندما نلحظ الصيغة الحكمية في الفتاوى السابقة صيغة " لا يجوز للرجل أن ينظر... "، و " كذا الحال في

نظر المرأة للرجل الأجنبي... "، و " لا يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبية..." و " يحرم النظر إلى بدن المرأة الأجنبية... "، نجدها تحكي أو تعبر عن ثلاثة جوانب من العلاقة و الحياة:

١. الجانب النفسي و السلوكي، و في العرف الأخلاقي أن النهي يمثل الاتجاه نحو تصفية النفس من الرذائل و السلوكيات المنحرفة أو غير الحسنة و غير المرضية.

٢. الجانب الاجتماعي و هو مراعاة حقوق الغير، و في هذا العرف النهي يمثل خطا أحمر في حدود العلاقات الإنسانية و يترتب عليه ردود فعل آلية في كثير من الأحيان.

٣. الجانب الديني الشرعي، و هو مراقبة التكليف الشرعي، و في هذا العرف الشرعي أن النهي مفاده الحرمة مما يترتب عليه المحاسبة، و اللوم، أو العقاب.

إذن هناك أمور حقيقية وراء هذه القضايا الشرعية و الأحكام الإلهية تهدف إلى توظيف العلاقات توظيفا قيميا، عندما

تشير إلى علاقة الفعل بنتيجته كما هو المنطق الرياضي أو الفيزيائي فإن الضوء لا يخترق الأجسام المعتمة، و ينكسر في طريق سيره و اتجاهه عندما يتغير أو يتطور وسطه الذي يسير فيه. فالنتيجة إذن أن الأمر كما هو في الطبيعيات ليست خاضعة في وجودها لأهواء الناس و رغباتهم، كذلك هو بالنسبة لهذا الجانب من الفقهيات ليست خاضعة للبشر و ميولهم أو استحسانهم.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكمْ فى كَثِير مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّب إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَ زَيَّنَهُ فى قُلُوبِكمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسوقَ وَ الْعِصيَانَ أُولَئك هُمُ الرَّاشِدُونَ سورة الحجرات، الآية: 7

ملخص تحليلي للفتاوى و أحكام الحجاب و الخلوة بالنسبة للرجل و المرأة

مع ملاحظة التفصيل الفقهي		الرجل	المرأة
ستر الوجه و الكفين	محارم	لا يجب مطلقا	لا يجب
	غير محارم		على الأحوط
ستر ما زاد على الوجه و الكفين	محارم	لا يجب، فيما عدا العورتين	لا يجب
	غير محارم	لا يجب، فيما عدا العورتين	يجب
النظر إليهما	حدود النظر	يجوز فيما عدا العورتين	يجوز فيما عدا الوجه و الكفين
	بدون ريبة أو تلذذ	يجوز	يجوز
	مع الريبة أو التلذذ	لا يجوز	لا يجوز
خلوة الرجل و المرأة	في حال إمكان دخول الغير	جائزة	
	في حال عدم إمكان دخول الغير	لا تجوز الخلوة	

اللغة و الأدب

مفردة لها معنى

لدينا في موضوع بحثنا هنا مفردتان لغويتان بحث معناهما اللغويون في كتبهم اللغوية، و هاتان المفردتان هما الحجاب، و الخمار فهما بملاحظة معناهما اللغوي المطلق بمعنى الستر و الحاجز و المانع و الإخفاء، و هما بملاحظة وضعهما من خلال كتب اللغة مشترك معنوي.

أولا: البحث اللغوي: قد تناول اللغويون هاتين المفردتين من زوايا مختلفة:

١. فبعض بحث معانيها من خلال حدودها التعريفية و تحديد جموعها كما فعل القاموس المحيط و ابن منظور في لسانه حين قال: الحجاب : اسم ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين حجاب و الجمع حجب. و بالنسبة للخمار قال : و الخمر بالتحريك ما واراك من الشجر والجبال ونحوها يقال توارى الصيد عني في خمر الوادي و خمره ما واراه من جرف أو حبل من حبال الرمل أو غيره و

منه قولهم دخل فلان في خمار الناس أي فيما يواريه و يستره.

٢. و منهم من بحث معانيها من خلال تعريفها بمترادفاتها كما هو في مختار الصحاح فقال: الحجاب الستر ثم بدأ في تعريف الستر و قال: سَتَر الشيء : غطاه وبابه نصر فاسْتَتَر هو و تَسَتَّر أي تغطى وجارية مُسْتَّرةٌ أي مخدرة وقوله تعالى حجابا مستورا أي حجاب على حجاب فالأول مستور بالثاني أراد بذلك كثافة الحجاب لأنه جعل على قلوبهم أكنة و في آذانهم وقرا وقيل هو مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى إنه كان وعده مأتيا أي آتيا ورجل مَسْتُورٌ و سَتِيرٌ أي عفيف والمرأة سَتِيرةٌ.

٣. و منهم من عرفه من خلال مادة الكلمة و الاستخدام الوظيفي لها كما هو كذلك عن القاموس إذ يقول: حجبه حجبا وحجابا ستره كحجبه وقد احتجب و تحجب و كذلك

هو الأمر في لسان العرب أيضا إذ يقول في مادة حجب: الحجاب الستر حجب الشيء يحجبه حجبا و حجابا و حجبه ستره وقد احتجب و تحجب إذا اكتن من وراء حجاب وامرأة محجوبة قد سترت بستر.

ثانيا: الاشتراك المعنوي: تشترك كلمة الخمار و الحجاب لدى اللغويين في نفس المترادفة و ذات المعنى الذي هو الستر. ففي القاموس ن و لسان العرب:

١. أن الفعل (من خمار) هو خمر، بكسر الميم (عين الفعل) أي ستر، فالفعل كما يقول كضرب و نصر و هو خمير و قد اختمر و بالكسر الغمر و بالتحريك ما واراك من شجر و غيره، و خمر الشيء يخمره خمرا و أخمره ستره وفي الحديث لا تجد المؤمن إلا في إحدى ثلاث في مسجد يعمره أو بيت يخمره أو معيشة يدبرها ، و يخمره أي يستره ويصلح من شأنه. فالخمار للمرأة هو ما تغطي به المرأة رأسها فلا تعرف، و منه حديث أويس القرني أكون في

خمار الناس أي في زحمتهم حيث أخفى و لا أعرف. و هو معنى خمر عني يخمر خمرا أي خفي وتوارى فهو خمر. و أخمرته الأرض عني و مني و علي أي وارته عني فلا أراه.

٢. و أن الفعل (من حجاب) هو حجب و هو أيضا بمعنى ستر، فيقال: حجبه حجبا وحجابا ستره، فالحجاب : هو الستر الذي حجب الشيء يحجبه حجبا و حجابا و حين يقال حجبه يعني ستره، و إذا قيل قد احتجب و تحجب فإنه بمعنى اكتن من وراء حجاب و كذا امرأة محجوبة أي سترت بستر. و أن الحجاب : اسم ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين هو حجاب والجمع حجب لا غير و قوله تعالى ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ معناه ومن بيننا وبينك ستر و حاجز في النحلة والدين.

القرآن الكريم

تأملات قرآنية تتملكني

الآية الأولى

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ٣٠ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ أو آبآئهنّ أو آباء بعولتهنّ أو أبنائهنّ أو أبناء بعولتهنّ أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ أوبني أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أو التابعين غير أولي الإربة من الرّجال أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ وتوبوا إلى اللّه جميعا أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون سورة النور ، الآية: 31

كثيرا ما استوقفني هذا التعبير القرآني الكريم و هذا الخطاب المبارك { قل } هذا الأمر الإلهي المجيد،

فأنا إذ أتأمل فيه أجده يختلف في مباشرته عن التكاليف و الأوامر الإلهية الأخرى من مثل:-

{ و اعلموا أنما غنمتم فإنَ..، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم..، أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة.. . } فهذه جميعها تتجه بالخطاب مباشرة من الله جل جلاله نحو المكلفين، أما في خطاب { قل } فإنَ الأمر القرآني يتوجه به الله المتعالي نحو المكلفين بواسطة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله فلماذا يأتي الخطاب أحيانا من الرب جل و علا مباشرا في الأمر و النهي للناس، و بواسطة الرسول الكريم أخرى؟

أولا: ليشعرنا – و أنا إذ أتأمل ذلك مليا – أن هناك شيئا نقوم به نحن كمخلوقات لله سبحانه و تعالى يخالف طبيعة هذه الخلقة و يشذ عن النهج الطبيعي في مسيرة الهدى العامة فيخفق في تحقيق الهدف التكاملي و هذه تحتاج للتربية و التعليم و المربي الأول و المعلم للبشرية هو النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، فيأتي الخطاب حينئذ بالأمر و النهي بواسطته.

ثانيا: أن هناك تصنيفا إلهيا، فإذا كان بملاحظة الناس جميعهم بدون وصف الإيمان أو بوصف الإيمان و لكن فيما يتعلق بالعقيدة و التشريع، فإن الخطاب حينئذ يكون مباشراً منه سبحانه و تعالى، و أما إذا كان ملاحظ فيه أصلا الإيمان و التبعية للرسول صلى الله عليه و آله، و أنه يتعلق بالسلوك البشري فيما بينهم فإنه يكون بواسطة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثالثا: ليشعر أنه لا استقلالية مطلقة للناس و أنهم ليس لديهم النظم و القوانين الحاكمة و بالتالي لا بد من حاكم يقيم الشرع الإلهي. و من هنا أستطيع أن أفهم من هذه الآيات القرآنية المباركة أنها تدعو الإنسانية لملاحظة طبيعتها لأنها لو تركت هي و جبلتها لكان حتما أن ترى ضرورة غض البصر و حفظ الفرج و الالتزام بالحجاب و غيرها من سلوكيات احترام الحرية الشخصية و عدم تجاوزها إلى التعدي على حقوق الآخرين، و يتجلى ذلك في السلوك البشري - و إن كان نسبيا- من امتداح من يحافظ على مثل هذه الأخلاق. و من هنا نفهم أنَ هذه الأوصاف السلوكية

المشار إليها قرآنيا هي الأوصاف المطالب بها المجتمع الإنساني و المجتمع المؤمن خاصة. و هذا النص القرآني المبارك في غاية الصراحة حثاً على التزام الحجاب كوظيفة تتلاءم و ذلك التكامل الإنساني بين جنسيه، حيث ضمان الله الكبير بأنّ ذلك أزكى للنفوس و أطهر للبشرية و أنقى في العلاقة و أدوم في الصلة و أقوى في الربط و أشد في الإلفة.

الآية الثانية

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

سورة الأحزاب، الآية: 33

في هذه الآية الكريمة يستوقفني:

أولا: هذا التقابل المتزاوج بين الأمر الذي يدل على الوجوب و النهي الذي يدل على الحرمة يستوقفني متأملا قوله: { قرن في بيوتكن ولا تبرجن.. } فإنها و إن كانت خطابا لنساء النبي (ص) إلا أنه يستفاد منها

بما أنهن قدوة في عدم الدخول في الفتنة بأي شكل من أشكالها و أكثر من هذا هو عدم التبرج الجاهلي المؤدي للضياع و التيه، و هو أمر غير ممدوح لمن يتمسك بصلة للنبي الأكرم (ص) و لمن يتمسك بهذا الدين و يكون على مستوى مسؤولية الانتساب لبيت الطهارة.

ثانيا: يلاحظ في هذا الخطاب الكريم أنه لم يتعرض لذكر الخروج أو البروز من البيت و إنما جاء بالنهي عن التبرج مباشرة ليشعر بأن الخروج ليس هو في ذاته معنيا و متوجها عليه الحكم، و لكن إذا كان الخروج بشكل يخالف التعاليم الإلهية إذا كان ابتعادا عن النص الديني، إذا كان تمردا على الشرع أو كان ادعاء بلا وجه حق والتبرج حينئذ مثال لتلك الجاهلية. و من هنا استشعرنا لماذا التحفظ الشديد في خروج المرأة من البيت.

الآية الثالثة

وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن سورة الأحزاب، الآية: 53

السؤال من وراء حجاب طهر لكل من السائل والمسؤول، فما هو هذا الحجاب الذي يضفي الطهارة في عمل القلوب و في معقد النيات، و لهذا إذا لم يكن هناك حجاب فحينئذ لا يمكن لكم أن تسألوهن أي متاع. أنا أستطيع أن أفهم أن هذا الحجاب ليس إلا الستر و الغطاء الكامل حتى يكون أطهر.

الآية الرابعة

يا أيّها النّبي قلّ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان اللّه غفوراً رحيماً سورة الأحزاب، الآية: 59

روي في سبب نزول هذه الآية الشريفة: إنّ النساء كنّ يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء والغداة يقعد الشّباب لهنّ في طريقهنّ فيؤذونهنّ ويتعرّضون لهنّ، فأنزل اللّه سبحانه وتعالى هذه الآية الشّريفة.[1]

أولاً: الصلاة خلف رسول صلى الله عليه و آله جماعة، إذن لابد أن تكون هذه الصلاة في المدينة.
ثانيا: الواضح من هذه الآية الكريمة أن الله جل و علا طلب من نبيه الكريم (ص) أن يقول لأزواجه و بناته و نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن بمعنى يلبسن أثوابا تغطي جميع أبدانهن فيسترن بها رؤوسهن و وجوههن. فبذلك يعرفن أنهن من أهل الإيمان و الستر و العفاف فلا يتجرأ أحد على إيذائهن.

(1)البحار ج101 ص33

نصوص تفسيرية

اقتراب من النص اقتراب من الالتزام

الآية الأولى

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم أن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ أو آبآئهنّ أو آباء بعولتهنّ أو أبنائهنّ أو أبناء بعولتهنّ أو إخوانهنّ أو بني إخوانهنّ أوبني أخواتهنّ أو نسائهنّ أو ما ملكت أيمانهنّ أو التابعين غير أولي الإربة من الرّجال أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ وتوبوا إلى اللّه جميعا أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون النور: 30-31

التبيان – شيخ الطائفة (ره)

في هذه الآية الكريمة خاطب الله النبي صلى الله عليه وآله فقال (قل) يا محمد (للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عن عورات النساء وما يحرم النظر إليه. وقيل: العورة من النساء ما عدا الوجه والكفين والقدمين، فأمروا بغض البصر عن عوراتهن، ودخلت (من) لا بتداء الغاية. ويجوز أن تكون للتبعيض، والمعنى أن يطرق وإن لم يغمض. وقيل: العورة من الرجل العانة إلى مستغلظ الفخذ من أعلى الركبة، وهو العورة من الإماء، قالوا: ويدل على أن الوجه والكفين والقدمين ليس من العورة من الحرة، أن لها كشف ذلك في الصلاة، وإذا كانت محرمة مثل ذلك، بالإجماع، والقدمان فيهما خلاف.

وقوله (ويحفظوا فروجهم) أمر من الله تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام، وعن إبدائها حيث ترى فإنهم متى فعلوا ذلك كان أزكى لأعمالهم عند الله

وإن الله خبير بما يعملون ويصنعون أي عالم بما يعملونه أي على أي وجه يعملونه.

لما أمر الله تعالى الرجال المؤمنين في الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات النساء، وأمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات في هذه الآية أيضا من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، وما لا يحل النظر إليه. و أمرهن أن يحفظن فروجهن إلا عن أزواجهن على ما أباحه الله لهم، و يحفظن أيضا إظهارها بحيث ينظر إليها، ونهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها.

قال ابن عباس: يعني القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعضد والمنحر، فإنه يجوز لها إظهار ذلك لغير الزوج، فأما الشعر فلا يجوز أن تبديه إلا لزوجها.

والزينة المنهي عن إبدائها زينتان:

فالظاهرة الثياب،

و الخفية الخلخال، والقرطان والسوار - في قول ابن مسعود -

وقال إبراهيم: الظاهر الذي أبيح الثياب فقط.

وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن الذي أبيح الكحل والخاتم والحذاء والخضاب في الكف.

وقال قتادة: الحذاء والسوار والخاتم.

وقال عطاء: الكفان والوجه.

وقال الحسن: الوجه والثياب.

وقال قوم: كلما ليس بعورة يجوز إظهاره. واجمعوا أن الوجه والكفين ليسا بعورة، لجواز إظهارها في الصلاة، و الأحوط قول ابن مسعود، والحسن بعده.

و قوله " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خمر، و قال الجبائي: هي المقانع. ثم كرر النهي عن إظهار الزينة تأكيدا وتغليظا واستثنى من ذلك: الأزواج وآباء النساء. و إن علوا، و آباء الأزواج و أبنائهم، أو إخوانهن و بني أخوانهن أو بني أخواتهن، أو نسائهن يعني نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا إذا كانت أمة و هو معنى قوله " أو ما ملكت أيمانهن " أي ما الإماء - في قول ابن جريج - فانه لا باس بإظهار الزينة لهؤلاء المذكورين، لأنهم محارم.

وقوله " أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال " قال ابن عباس: هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك و لا حاجة له في النساء، و هو الأبله. وبه قال قتادة وسعيد بن جبير وعطاء.

وقال مجاهد: هو الطفل الذي لا أرب له في النساء لصغره.

وقيل: هو العنين، ذكره عكرمة، والشعبي.

وقيل: هو المجبوب. وقيل: هو الشيخ الهرم.

والإربة الحاجة، وهي فعلة من الإربة، كالمشية من المشي، والجلسة من الجلوس. وقد أربت لكذا آرب له أربا إذا احتجت إليه، ومنه الأربة - بضم الألف - العقدة، لأن ما يحتاج إليه من الأمور يقتضي العقدة عليه، ولأن الحاجة كالعقدة حتى تنحل بسد الخلة، ولأن العقدة التي تمنع من المنفعة يحتاج إلى حلها، ولأن العقدة عمدة الحاجة.

وقوله " أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء " يعني الصغار الذين لم يراهقوا، فإنه يجوز إبداء الزينة لهم.

وقوله " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن " معناه لا تضرب امرأة برجلها، ليعلم صوت الخلخال في رجلها، كما كان يفعله نساء أهل الجاهلية. وذلك يدل على أن إظهار الخلخال لا يجوز. ثم أمر الله تعالى المكلفين، فقال " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " أي لتفوزوا بثواب الجنة.[1]

مجمع البيان– الشيخ الطبرسي (ره)

اللغة: أصل الغض النقصان يقال غض من صوته و من بصره أي نقص و منه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بن عوف هنيئا لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها بشيء يقال غضغضت الشيء فتغضغض إذا نقص و الإربة فعلة من الإرب كالمشية

---

(1)تفسير التبيان ج7 ص417

والجلسة و في الحديث إن رجلا اعترض النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) ليسأله فصاحوا به فقال (صلى الله عليه وآله وسلّم) دعوا الرجل أرب ماله قال ابن الأعرابي أي احتاج فسأل ما له و قيل معناه حاجة جاءت به فدعوه.

المعنى: بين سبحانه ما يحل من النظر و ما لا يحل منه فقال « قل » يا محمد « للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » عما لا يحل لهم النظر إليه « و يحفظوا فروجهم » عمن لا يحل لهم و عن الفواحش و قيل إن من مزيدة و تقديره يغضوا أبصارهم عن عورات النساء و قيل إنها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب في بعض المواضع عن أبي مسلم و المعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرم و قيل إنها لابتداء الغاية و قال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر حتى لا ينظر إليها أحد و هو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال فلا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه و لا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها « ذلك أزكى

لهم » أي أنفع لدينهم و دنياهم و أطهر لهم و أنفى للتهمة و أقرب إلى التقوى « إن الله خبير » أي عليم « بما يصنعون » أي بما يعملونه أي على أي وجه يعملونه « و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن » أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر و حفظ الفرج « و لا يبدين زينتهن » أي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم و من هو في حكمه و لم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينة و قيل الزينة زينتان ظاهرة و باطنة فالظاهرة لا يجب سترها و لا يحرم النظر إليها لقوله « إلا ما ظهر منها » و فيها ثلاثة أقاويل (أحدها) إن الظاهرة الثياب و الباطنة الخلخالان و القرطان و السواران عن ابن مسعود (و ثانيها) إن الظاهرة الكحل و الخاتم و الخدان و الخضاب في الكف عن ابن عباس و الكحل و السوار و الخاتم عن قتادة (و ثالثها) إنها الوجه و الكفان عن الضحاك و عطا و الوجه و البنان عن الحسن و في تفسير علي بن إبراهيم الكفان و الأصابع « و ليضربن بخمرهن على جيوبهن

» و الخمر المقانع جمع خمار و هو غطاء رأس المرأة المنسدل على جيبها أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن و كنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها و قيل إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن و قرطهن و أعناقهن قال ابن عباس تغطي شعرها و صدرها و ترائبها و سوالفها « و لا يبدين زينتهن » يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة و قيل معناه لا يضعن الجلباب و الخمار عن ابن عباس « إلا لبعولتهن » أي لأزواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم و تحريكا لشهوتهم.[1]

---

(1)تفسير مجمع البيان ج7 ص214

الأمثل – الشيخ ناصر مكارم (ح ٥)

سبب النّزول: جاء في كتاب الكافي حول سبب نزول أوّل آية من الآيات السابقة، عن الإمام الباقر(عليه السلام) قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها وهي مقبلة، فلمّا جازت نظر إليها ودخل زقاق قد سمّاه يعني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لآتين رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولأخبرنّه، قال: فأتاه فلمّا رآه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: ما هذا فأخبره، فهبط جبرئيل(عليه السلام) بهذه الآية: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أن الله خبير بما يصنعون)

التّفسير : مكافحة السفور وخائنة الأعين:

قلنا في البداية: إنّ هذه السورة ـ في الحقيقة ـ اختصت بالعفة والطهارة وتطهير الناس من جميع الانحرافات الجنسية، وبحوثها منسجمة، وهي تدور حول الأحكام الخاصّة بالنظر إلى الأجنبية والحجاب، ولا يخفى على أحد ارتباط هذا البحث بالبحوث الخاصّة بالقذف.

تقول الآية أوّلا: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم).

وكلمة «يغضوا» مشتقّة من «غضّ» من باب «ردّ» وتعني في الأصل التنقيص، وتطلق غالباً على تخفيض الصوت وتقليل النظر. لهذا لم تأمر الآية أن يغمض المؤمنون عيونهم. بل أمرت أن يغضّوا من نظرهم. وهذا التعبير الرائع جاء لينفي غلق العيون بشكل تام بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرّد مشاهدته امرأة ليست من محارمه، فالواجب عليه أن لا يتبحّر فيها، بل أن يرمي ببصره إلى الأرض، ويصدق فيه القول أنه غضّ من نظره وأبعد ذلك المنظر من مخيلته.

وممّا يلفت النظر أنّ القرآن الكريم لم يحدد الشيء الذي يستوجب غضّ النظر عنه. (أي أنه حذف متعلّق الفعل) ليكون دليلا على عموميته. أي غضّ النظر عن جميع الأشياء التي حرم الله النظر إليها.

ولكن سياق الكلام في هذه الآيات، وخاصّة في الآية التالية التي تتحدث عن قضية الحجاب، يوضح لنا جيداً أنها تقصد النظر إلى النساء غير المحارم، ويؤكّد هذا المعنى سبب النّزول الذي ذكرناه سابقاً.

ويتّضح لنا ممّا سبق أن مفهوم الآية السابقة ليس هو حرمة النظر الحاد إلى النساء غير المحارم، ليتصور البعض أنّ النظر الطبيعي إلى غير المحارم مسموح به، بل إن نظر الإنسان يمتدّ إلى حيّز واسع و يشمل دائرة واسعة، فإذا وجد امرأة من غير المحارم عليه أن يخرجها عن دائرة نظره. وألاّ ينظر إليها، ويواصل السير بعين مفتوحة، وهذا هو مفهوم غضّ النظر. (فتأملوا جيداً).

الحكم الثّاني في الآية السابقة: هو «حفظ الفروج».
و«الفرج» ـ كما قلنا سابقاً ـ يعني الفتحة والفاصلة بين شيئين، إلاّ أنّها هنا وردت كناية عن العورة.
والقصد من حفظ الفرج ـ كما ورد في الأحاديث ـ هو تغطيته عن الأنظار، وقد جاء في حديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله: «كلّ آية في القرآن فيها ذكر الفروج فهي من الزنا، إلاّ هذه الآية فإنّها من النظر».
إن الإسلام نهى عن هذا العمل المندفع مع الأهواء النفسية والشهوات، لأنّ (ذلك أزكى لكم) كُما نصّت عليه الآية ـ موضع البحث ـ في ختامها.
ثمّ تحذر الآية أُولئك الذين ينظرون بشهوة إلى غير محارمهم، ويبررون عملهم هذا بأنّه غير متعمّد فتقول: (إنّ الله خبير بما تصنعون).[1]

(1)الأمثل ج11 ص75

الآية الثانية

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

الأحزاب :33

التبيان – شيخ الطائفة (ره)

في هذه الآية الكريمة أمرهن بالاستقرار في بيوتهن وألا يتبرجن تبرج الجاهلية - على قراء ة من فتح القاف. ومن كسر أرادكن وقورات عليكن سكينة ووقار " ولا تبرجن " قال قتادة: التبرج التبختر والتكبر، وقال غيره: هو إظهار المحاسن للرجال.

وقوله " تبرج الجاهلية الأولى " نصب تبرج على المصدر والمعنى مثل تبرج الجاهلية الأولى، وهو ما كان قبل الإسلام.

واشتقاق التبرج من البرج وهو السعة في العين وطعنة برجاء أي واسعة وفي أسنانه برج إذا تفرق ما بينها.[1]

مجمع البيان- الشيخ الطبرسي (ره)

اللغة : التبرج إظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج و هو السعة في العين و طعنة برجاء واسعة و في أسنانه برج إذا تفرق ما بينها .

المعنى: « و قرن في بيوتكن » أمرهن بالاستقرار في بيوتهن و المعنى اثبتن في منازلكن و الزمنها و إن كان من وقر يقر فمعناه كن أهل وقار و سكينة « و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » أي لا تخرجن على عادة النساء اللاتي في الجاهلية و لا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك و قيل التبرج التبختر و التكبر في المشي عن قتادة و مجاهد و قيل هو أن تلقي الخمار على

(1)تفسير التبيان ج8 ص323

رأسها و لا تشده فتواري قلائدها و قرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل و المراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة و قيل ما كان بين آدم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) ثمان مائة سنة عن الحكم و قيل ما بين عيسى و محمد عن الشعبي قال و هذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر.[1]

الأمثل – الشيخ ناصر مكارم (ح ه)

التّفسير :«قرن» من مادّة الوقار، أي الثقل، وهو كناية عن التزام البيوت. واحتمل البعض أن تكون من مادّة (القرار)، وهي لا تختلف عن المعنى الأوّل كثيراً.(طبعاً يكون فعل الأمر (أقررن) في صورة كونها من مادّة القرار، وحذفت الراء الأولى للتخفيف، وانتقلت فتحة

---

(1)تفسير مجمع البيان ج8 ص133

الراء إلى القاف، ومع وجودها لا نحتاج إلى الهمزة، وتصبح (قرن) . تأمّلوا جيّداً .)

و «التبرّج» يعني الظهور أمام الناس، وهو مأخوذ من مادّة (برج)، حيث يبدو ويظهر لأنظار الجميع.

لكن ما هو المراد من «الجاهلية»؟

الظاهر أنّها الجاهلية التي كانت في زمان النّبي (صلى الله عليه وآله)، ولم تكن النساء محجّبات حينها كما ورد في التواريخ، وكنّ يلقين أطراف خمرهن على ظهورهنّ مع إظهار نحورهنّ وجزء من صدورهنّ وأقراطهنّ وقد منع القرآن الكريم أزواج النّبي من مثل هذه الأعمال.

ولا شكّ أنّ هذا الحكم عامّ، والتركيز على نساء النّبي من باب التأكيد الأشدّ، تماماً كما نقول لعالم: أنت عالم فلا تكذب، فلا يعني هذا أنّ الكذب مجاز ومباح للآخرين، بل المراد أنّ العالم ينبغي أن يتّقي هذا العمل بصورة آكد.

إنّ هذا التعبير يبيّن أنّ جاهلية أخرى ستأتي كالجاهلية الأولى التي ذكرها القرآن، ونحن نرى

اليوم آثار هذا التنبّؤ القرآني في عالم التمدّن المادّي، إلاّ أنّ المفسّرين القدامى لم يتنبّؤوا ويعلموا بمثل هذا الأمر، لذلك فقد جهدوا في تفسير هذه الكلمة، ولذلك اعتبر البعض منهم الجاهلية الأولى هي الفاصلة بين «آدم» و «نوح»، أو الفاصلة بين عصر «داود» و «سليمان» حيث كانت النساء تخرج بثياب يتّضح منها البدن، وفسّروا الجاهلية العربية قبل الإسلام بالجاهلية الثّانية!

ولكن لا حاجة إلى هذه الكلمات كما قلنا، بل الظاهر أنّ الجاهلية الأولى هي الجاهلية قبل الإسلام.[1]

الآية الثالثة

و إذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن الأحزاب: ٥٣

---

(1)الأمثل ج13 ص236

التبيان – شيخ الطائفة (ره)

قال " وإذا سألتموهن متاعا " يعني إذا سألتم أزواج النبي شيئا تحتاجون إليه " فاسألوهن من وراء حجاب " وستر " ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن " من الميل إلى الفجور.[1]

مجمع البيان– الشيخ الطبرسي (ره)

« و إذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب » يعني فإذا سألتم أزواج النبي (صلى الله عليه و آله و سلّم) شيئا تحتاجون إليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل أمر الله المؤمنين أ لا يكلموا نساء النبي (صلى الله عليه و آله و سلّم) إلا من وراء حجاب « ذلكم » أي

(1)تفسير التبيان ج8ص340

سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب « أطهر لقلوبكم و قلوبهن » من الريبة و من خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال إلى النساء و النساء إلى الرجال.[1]

الأمثل – الشيخ ناصر مكارم (ح ٥)

قلنا: إنّ هذا الأمر كان ولا يزال متعارفاً بين العرب وكثير من الناس أنّهم إذا احتاجوا شيئاً من لوازم الحياة ووسائلها فإنّهم يستعيرونها من جيرانهم مؤقتاً، ولم يكن بيت النّبي مستثنى من هذا القانون، بل كانوا يأتون إليه سواء كان الوقت مناسباً أم غير مناسب، ويستعيرون من نساء النّبي شيئاً، ومن الواضح أن جعل نساء النّبي عرضة لأنظار الناس . وإن كن يرتدين الحجاب الإسلامي . لم يكن بالأمر الحسن، ولذلك صدر الأمر إلى الناس أن يأخذوا الأشياء من

---

(1)تفسير مجمع البيان ج8 ص149

خلف حجاب أو من خلف الباب. والمسألة التي ينبغي الانتباه إليها هنا هي أنّه ليس المراد من الحجاب في هذه الآية لباس النساء، بل هو حكم يضاف إلى ما كان خاصّاً بنساء النّبي، وهو: أنّ الناس مكلّفون إذا أرادوا شيئاً من نساء النّبي أن يأخذوه من وراء حجاب لظروف نساء النّبي الخاصّة، ويجب عليهنّ أن لا يخرجن إلى الناس ويظهرن لهم في مثل هذه الموارد حتّى وإن كن محجّبات، وهذا الحكم لم يرد طبعاً في شأن النساء الأخريات، بل يكفيهنّ أن يراعين الحجاب الإسلامي.

والشاهد على ذلك أنّ كلمة «الحجاب»، وإن كانت تستعمل في المحادثات اليومية بمعنى حجاب المرأة، إلاّ أنّها ليس لها مثل هذا المعنى لا في كتب اللغة، ولا في تعبيرات فقهائنا.

«الحجاب» في اللغة هو الشيء الذي يحول بين شيئين، ولذلك أطلق على الغشاء الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة اسم «الحجاب الحاجز».

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة بمعنى الحائل أو الساتر في عدّة مواضع، كالآية (45) من سورة الإسراء حيث تقول: (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً).

ونقرأ في الآية (32) من سورة ص: (حتّى توارت بالحجاب).

وجاء في الآية (51) من سورة الشورى: (وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب).

أمّا في كلمات الفقهاء فقد استعملت كلمة «الستر» فيما يتعلّق بلباس النساء منذ قديم الأيّام وإلى يومنا هذا، وورد أيضاً في الرّوايات الإسلامية هذا التعبير أو ما يشبهه، واستعمال كلمة «الحجاب» في شأن لباس المرأة اصطلاح ظهر في عصرنا على الأكثر، وإذا وجد في التواريخ والرّوايات فقليل جدّاً.[1]

---

(1)الأمثل ج13 ص٣٢٥

الآية الرابعة

يا أيّها النّبي قلّ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان اللّه غفوراً رحيماً الأحزاب: 59

التبيان – شيخ الطائفة (ره)

خاطب النبي صلى الله عليه وآله بقوله " يا أيها النبي " وأمره بأن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين، ويأمرهم بأن يدنين عليهم من جلابيبهن، فالجلابيب جمع جلباب وهو خمار المرأة وهي المقنعة تغطي جبيتها ورأسها إذا خرجت لحاجة بخلاف خروج الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه – في قول ابن عباس ومجاهد – وقال الحسن: الجلابيب الملاحف تدنيها المرأة على وجهها " ذلك أدنى أن

يعرفن فلا يؤذين " ثم قال " وكان الله غفورا رحيما "
أي ستار الذنوب على عباده " رحيما " بهم.[1]

مجمع البيان- الشيخ الطبرسي (ره)

اللغة: الجلباب خمار المرأة الذي يغطي رأسها و وجهها إذا خرجت لحاجة.

خاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقال « يا أيها النبي قل لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » أي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب و هو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن و قيل الجلباب مقنعة المرأة أي يغطين جباههن و رؤوسهن إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس و الجباه عن ابن عباس و مجاهد و قيل أراد بالجلابيب الثياب

(1)تفسير التبيان ج8ص346

والقميص و الخمار و ما تستتر به المرأة عن الجبائي و أبي مسلم « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أي ذلك أقرب إلى أن يعرفن بزيهن أنهن حرائر و لسن بإماء فلا يؤذيهن أهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء و ربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن إماء فقطع الله عذرهم و قيل معناه ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر و الصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر و الصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي « و كان الله غفورا » أي ستارا لذنوب عباده « رحيما » بهم.[1]

---

(1)تفسير مجمع البيان ج8 ص157

الأمثل – الشيخ ناصر مكارم (ح ٥)

هناك رأيان لدى المفسّرين في المراد من «المعرفة» لا يتناقضان:

الأوّل: أنّه كان من المتعارف ذلك اليوم أن تخرج الجواري من المنازل مكشوفات الرأس والرقبة، ولمّا لم يكن مقبولات من الناحية الأخلاقية، فقد كان بعض الشباب المتهوّر يضايقوهنّ، فأمرت المسلمات الحرائر أن يلتزمن الحجاب التامّ ليتميّزن عن الجواري، وبالتالي لا يقدر أن يؤذيهنّ أولئك الشباب. ومن البديهي أنّ هذا الكلام لا يعني أنّه كان لأولئك الطائشين حقّ أذى الجواري، بل المراد سلب الحجّة من الأفراد الفاسدين.

والآخر: أنّ الهدف هو أن لا تتساهل المسلمات في أمر الحجاب كبعض النساء المتحلّلات والمتبرجات المسلوبات الحياء رغم التظاهر بالحجاب، هذا التبرّج يغري السفلة والأراذل ويلفت انتباههم.

أمّا المراد من «الجلباب» فقد ذكر المفسّرون وأرباب اللغة عدّة معان له:

١ . أنّه «الملحفة»، وهي قماش أطول من الخمار يغطّي الرأس والرقبة والصدر.

٢ . أنّه المقنعة والخمار.

٣ . أنّه القميص الفضفاض الواسع.

ومع أنّ هذه المعاني تختلف عن بعضها، إلاّ أنّ العامل المشترك فيها أنّها تستر البدن.

وتجدر الإشارة إلى أنّ «الجلباب» يقرأ بكسر الجيم وفتحها.

إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد هو الحجاب الذي يكون أكبر من الخمار وأقصر من العباءة، كما ذكر ذلك صاحب لسان العرب.

والمراد من (يُدنين) أن يقربن الجلباب إلى أبدانهن ليكون أستر لهنّ، لا أن يدعنه كيف ما كان بحيث يقع من هنا وهناك فينكشف البدن، وبتعبير أبسط أن يلاحظن ثيابهنّ ويحافظن على حجابهنّ.

أمّا ما استفاده البعض من أنّ الآية تدلّ على وجوب ستر الوجه أيضاً، فلا دليل عليه، والنادر من المفسّرين من اعتبر ستر الوجه داخلا في الآية.

وعلى كلّ حال، فيستفاد من هذه الآية أنّ حكم الحجاب بالنسبة للحرائر كان قد نزل من قبل، إلاّ أنّ بعض النسوة كنّ يتساهلن في تطبيقه، فنزلت الآية المذكورة للتأكيد على الدقّة في التطبيق.

ولمّا كان نزول هذا الحكم قد أقلق بعض المؤمنات ممّا كان منهن قبل ذلك، فقد أضافت الآية في نهايتها (وكان الله غفوراً رحيماً) فكلّ ما بدر منكنّ إلى الآن كان نتيجة الجهل فإنّ الله سيغفره لكنّ، فتبن إلى الله وارجعن إليه، ونفذن واجب العفّة والحجاب جيداً.[1]

(1)الأمثل ج13 ص348

من معين أهل البيت (ع):
نظرة في الجذور حيث يعود
و تأمل في الحدود حيث ينتهي

هذه سيدة النساء وقدوة الأمّة السيدة فاطمة الزهراء يقول لها أبوها النبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم): أي شئ خير للمرأة؟ فتجيب صلوات اللّه وسلامه عليها: أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل.[1]

روى عبد اللّه بن الحسن (بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) أنّه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة.

---

(1)البحار ج43 ص84

فجلست ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد اللّه والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا امسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام): الحمد للّه على ما أنعم ... إلى آخر الخطبة المشهورة.[1]

يحي المازني: كنت في جوار أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة السلام) مدّة مديدة، وبالقرب من البيت الّذي تسكنه زينب ابنته، فواللّه ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول اللّه، تخرج ليلاً،

---

(1)الاحتجاج ج1 ص97

والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشّريف سبقها أمير المؤمنين فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن مرّة عن ذلك، فقال: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب.(1)

روي عن الإمام الصّادق (عليه السلام) أنّه قال: النظر سهم من سهام إبليس مسموم وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة.(2)

تفسير نور الثقلين نقلا عن جوامع الجامع وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب

---

(1)زينب الكبرى للنقدي ص22

(2)البحار ج104 ص40

فقال : احتجبا.

فقلنا : يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ؟ فقال : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه ؟[1]

بحار الأنوار: فس: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم " فإنه حدثني أبي عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل آية في القرآن في ذكر الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر فلا يحل لرجل مؤمن أن ينظر إلى فرج أخته ولا يحل للمرأة أن ينظر إلى فرج أخيها.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: " ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها " فهي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار،

---

(1)تفسير نور الثقلين ج6 ص129

والزينة ثلاث: زينة للناس وزينة للمحرم وزينة للزوج، فأما زينة الناس فقد ذكرنا وأما زينة المحرم القلادة فما فوقها والدملج وما دونه والخلخال وما أسفل منه وأما زينة الزوج فالجسد كله.

" أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال " فهو الشيخ الكبير الفاني الذي لا حاجة له في النساء .

" أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ".

" ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن " يقول: ولا تضرب إحدى رجليها بالأخرى لتقرع الخلخال بالخلخال.

فسر: إن النساء كن يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء والغداة يقعد الشاب لهن في طريقهن فيؤذونهن ويتعرضون لهن فأنزل الله: " يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ".

هارون: عن ابن زياد قال: سمعت الصادق عليه السلام عما تظهر المرأة من زينتها فقال: الوجه والكفين.[1]

---

(1) بحار الأنوار ج 101ص33

خاتمة: معامل الارتباط
صورة إجمالية للذات

لعل ما أحاول أن أوضحه هنا هو الأبعاد الخارجية على مستوى نظرية الارتباطات التي ذكرتها الدكتورة شكوه نوابي نجاد عن بعض الكتاب مثل باول، جانت بوين، و جكسون حيث عرفوا نظرية الارتباطات الإنسانية من تكونها من ثلاثة عناصر هي :

١) التراكيب اللغوية و العبارات اللفظية وفق نظام اللغة التي يتم استخدامها في التعبير عن المعاني النفسية.

٢) المعاني و المداليل و المفاهيم التي تم تصورها من امتدادات مدى اللغة و نوع و مجال استخدامها.

٣) السلوكيات و الأعمال المترتبة على هذه المفاهيم التي تمثل ردود أفعال تعكس قدرة الاستجابة أو رغبة و عمق هذه الاستجابة.[1]

إذن كيف ينشأ الارتباط من خلال هذا المفهوم النظري؟

---

(1)المشاورة حول الزواج و العلاج الأسري ص133

في أي لقاء بين شخصين يحدث أن يقوم الأول بالمبادرة و ينشأ نقطة اتصال طرفي و نقطة تواصل أولى ليحمل نداءه للشخص الآخر الذي يظهر لديه طبيعة تلقائية من ردود الأفعال و السلوك يتحدد على ضوئها نقطة التواصل الأخرى يتجاوز فيها التفاعل حدود اللفظ و التعبيرات الخطابية لتشمل الحركات و الإيقاعات الصوتية و المظاهر الحركية و الحالات النفسية فيتحدد من خلالها توع الارتباط و مضمونه و نمط العلاقة التي تنشأ عنه من حيث تبادل المعلومات و نقلها للآخرين إلى سائر العلاقات القرينية السائدة بين الأفراد فتكون إما متكافئة كما في الحالة الزوجية أو الأخوية، و إما تكاملية كما في الحالة الطبية أو التدريسية. أو لا يكون هناك أي نوع من أنواع الاستجابة و الاتصال و التواصل فانعدام حالة الارتباط. إذن إمكانية حدوث ارتباط تتحدد من خلال المشهد و الصورة الإجمالية للذات الواقعية حيث ترتبط طرديا مع هويتها و مبادئها، فكلما كان هناك مبادئ واضحة و صحيحة مستمدة من أسس

مقننة كلما كانت الهوية أشد وثوقا و اطمئنانا و كلما
كان الارتباط ممنهجا و محددا إذا أمكن إيجاده من
خلال القيم الطرفية ذات العلاقة.

مصادر البحث

أولا: القرآن و التفسير و نهج البلاغة

١. نهج البلاغة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط1980م

٢. الشيخ الحويزي – نور الثقلين، ط الكترونية

٣. الشيخ الطبرسي – مجمع البيان، دار مكتبة الحياة – بيروت

٤. شيخ الطائفة الطوسي – التبيان، ط الكترونية تحقيق و تصحيح أحمد حبيب العاملي

٥. الشيخ مكارم الشيرازي – الأمثل، ط الكترونية قسم الترجمة و النشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

ثانيا: الحديث و الروايات

١. بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء-بيروت، ط 1403هـ-1983م

٢. الاحتجاج،مركز الأبحاث العقائدية

ثالثا: الرسائل العملية

١. السيد السيستاني – المسائل المنتخبة، دار المؤرخ العربي–بيروت، ط 1413هـ–1993م

٢. السيد الروحاني – المسائل المنتخبة، مكتبة اللفين – الكويت، ط 1417هـ– 1997م

٣. الشيخ التبريزي – المسائل المنتخبةن سلمان الفارسي، ط 1416هـ

٤. السيد الخامنئي – أجوبة الاستفتاءات ،، ط الكترونية

٥. الإمام الخميني – تحرير الوسيلة، ط الكترونية

٦. الإمام الخوئي – منهاج الصالحين، دار المرتضى – بيروت، ط1427هـ– 2006م

٧. الإمام الخوئي – المسائل المنتخبة، دار الزهراء – بيروت ط1408هـ–1988م

٨. السيد الكلبيكاني – مختصر الأحكام، دار القارئ– بيروت، ط 1413هـ–1992م

٩. الشيخ الغروي – الفتاوى المستنبطة، ياران ط 1375 هش

رابعا: المصادر بالعربية

١. د. جون غراي – الرجال من المريخ النساء من الزهرة ، مكتبة جرير، ط 2000

٢. د. جون جراي – *المريخ و الزهرة معا إلى الأبد،* مكتبة جرير، ط2008

٣. الشيخ جعفر النقدي – زينب الكبرى، بيروت

٤. السيد محمد الشيرازي – الحجاب في القرآن، مركز الرسول الأعظم، 1398هـ

٥. *الشهيد مرتضى المطهري – المجتمع و التاريخ، مؤسسة الوفاء–بيروت، ط1403هـ–1983م*

٦. *سوزان كيليام– لغة الجسد،* دار الحكايات–بيروت، ط دار المستقبل

٧. *سير روي كالن – عالم يفيض بسكانه، سلسلة عالم المعرفة، الصفاة– الكويت 1417هـ–1996م*

٨. السيد عبدالحسين دستغيب – القلب السليم ج2، دار البلاغة–بيرةت، ط1410هـ–1990م

٩. *فرنسيس بو – العلاقات الإنسانية، المنشورات العربية، المطبعة الولسية–جونية 1977*

١٠. ريتشارد تشانج – خطة العاطفة، مكتبة جرير2003
١١. د. شكوه نوابي- المشاورة حول الزواج و العلاج الأسري، دار الهادي، ط1425هـ-2005م
١٢. د. خالص جلبي – الطب محراب الإيمان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 1402هـ-1982م

خامسا: كتب اللغة

١. ابن منظور – لسان العرب، ط الكترونية، العريس للنشر
٢. الجوهري – مختار الصحاح، ط الكترونية، العريس للنشر
٣. الفيروزآبادي – القاموس المحيط، دار الجيل- بيروت

سادسا: المصادر بالانكيزية

1. Gary Zukav – The Seat of the Soul.1st Fire Side Ed 1990
2. Prof. Morton F. Reiser – Mind, Brain, Body, Basic Books,Inc, NY, 1984
3. Timothy Miller – How to want what you have, AVON Books, 1996